الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون- تيارت-

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الأوسط الوسيط

موسومة بـ :

أبو العباس الونشريسي وكتابه المعيار القرن 9 هـ / 15م

إعداد الطالبات:

- بن رابح سعاد
- حليسات مروة

إشراف الأستاذة:

شرقي نوارة

أعضاء اللجنة المناقشة :

لبيب الحاج .....رئيسا

شرقي نوارة..... مشرفا

سموم لطيفة.....مناقشا

الموسم الجامعي

1435-1436هـ / 2014-2015م

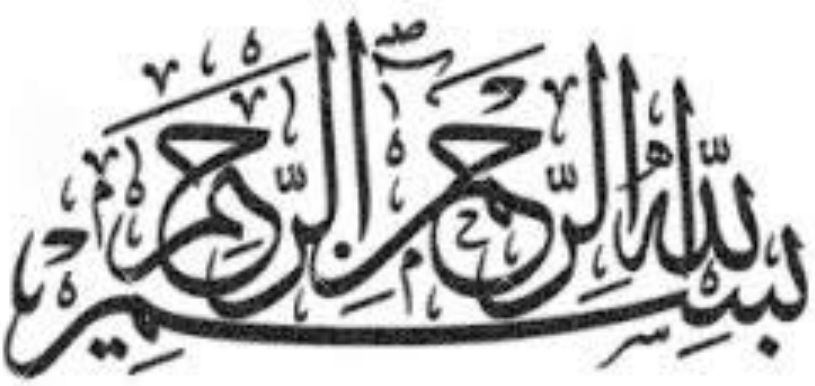

يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات و الله بما تعملون خبير

سورة المجادلة الآية 11

شكر و تقدير

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين .

لا يسعنا وقد انهين هذا البحث بعون الله و توفيقه، إلا أننا نتقدم بوافر التقدير و جزيل الشكر إلى الأساتذة " شرقي نواره " التي تكرمت بإشرافها على الموضوع منذ أن كان فكرة إلى أن تجسد نسخة مطبوعة.

حيث كانت حفظها الله موجهة و مصححة و مرشدة فجزاها الله تعالى كل خير، و إلى الأساتذة المناقشين و إلى كل أساتذة كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية.

كما نوجه خالص الشكر و عظيم الامتنان لكل يد امتدت لتساعدنا من قريب أو بعيد لانجاز هذا العمل خاصة الخال مختار راجين من المولى العلي القدير أن يثيب الجميع بخير ما عنده من اجر عظيم وعطاء جزيل ، انه سميع مجيب

الإهــداء

إلى والديا الكريمين اللذين كان لهما الفضل

الكبير في تربيتي و تعليمي .

إلى الإخوة و الأهل والأقارب الذين أحاطوني بالعون و الحب و الدعاء

إلى جميــع الزميلات

أهدي بحثي المتواضع إلى أمي ثم أمي التي أشربتني الحياة و كستني الحنان و الرعاية التي علمتني معنى التواضع و الاحترام و العمل و الوفاء و أبي الحنون الذي تحمل أعباء الحياة من اجلنا فأطال الله في عمرهما.

-و إلى إخوتي:سهام،حكيم،كادي،أسماء

-والى الأختين:سميرة و حضرية

-والى خالي محمد و أولاده:وائل و إسلام.

-والى زملائي:نخص بالذكر خلفاوي حكيم الذي ساعدني في هذا العمل و إلى سمية بن هواري،خيرة حساني،حاسي مسعودة،حرير فضيلة،دراجي فراح.

والى كل من يعرف مروة حليسات

فهذه قبلة محبة.....وبسمة آمل

منتديات دلع
3DLAT.COM

مقدمة

عرف المغرب الإسلامي بروز الكثير من الشخصيات التي كان لها أثر كبير على العالم بأسره و ذلك لما خلفته من آثار علمية استفاد منها الباحثين ، ولا يزالوا يستفدون منها إلى يومنا هذا ، ومن هذه الشخصيات نجد أبو العباس الونشريسي الذي تجاوزت شهرته حدود المغرب الأوسط ، وذلك لأهمية كتابه المعيار الذي مكن الدارسين من أخذ صورة واضحة و جلية حول الحياة اليومية لبلاد المغرب الإسلامي كله وليس بلاد المغرب الأوسط فقط .

و الونشريسي هو أحد أبناء المغرب الأوسط ، إذ ولد بجبال الونشريس و نشأ بمدينة تلمسان ، العاصمة الزيانية ، و في تلك الفترة كانت تلمسان مزدهرة في جل النواحي حتى أنها ضاهت في ذلك حواضر المغرب الإسلامي تونس الحفصية و فاس المرينية خلال فترة امتدت من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري الثالث عشر و السادس عشر ميلادي ، أي فترة حكم بني زيان أو بني عبد الواد لبلاد المغرب الأوسط .

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يكشف عن مرحلة زمنية عاش فيها الونشريسي داخل مجتمع المغرب الأوسط ، بالإضافة إلى كتابه الذي يحتوي على النوازل التي أمدتنا بواقع هذا المجتمع في أصح شكل .

نظرا لأهمية شخصية الونشريسي والتي للأسف الشديد لا نكاد نجد له حضورا في ذاكرة مجتمعنا و مازال غير معروف على الرغم من مساهمته في إثراء الجانب الحضاري للمغرب الإسلامي من خلال كتابه "المعيار" الذي اشتهر به ارتبط اسمه به نظرا لأهميته سواء في الفقه النوازل أو في التاريخ .

و هذا ما جعلنا نختار هذه الشخصية مساهمة منا في نفض الغبار عن حياته و آثار هذا العالم خصوصا و أننا من أبناء هذه المنطقة و لأن هذا الموضوع جدير بالبحث طرحت الإشكال عند معالجتنا له:

_ من يكون الونشريسي ؟

_ وما الدافع من وراء خروجه من المغرب الأوسط و سكناه عند المرينيين ؟

_ وما هي مكانته وإسهاماته العلمية ؟

_ وما هي أهمية كتاب المعيار في التاريخ ؟ ولماذا يعتبر من أهم المصادر الراجعة لتلك الفترة ؟

مما أشرنا إليه في بحثنا لا يعبر عن الكمال ، فالباحث مهما بذل من الجهد و العناء إلا أنه يتلقى صعوبات ، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا طيلة هذا البحث ، قلة المصادر و المراجع التي تناولت الموضوع و تشابه المادة التاريخية في مختلف المراجع ، و الدراسات الحديثة ، إضافة إلى صعوبة استنباط الحدث التاريخي من النازلة كونها كانت في شكل فقهي ، و صعوبة اقتناء الكتب ، ورفض الاستعارة الخارجية في بعض المكتبات .

والهدف من هذا البحث هو محاولة إبراز شخصية أبو العباس الونشريسي و المراحل التي مر بها في حياته سواء في تلمسان أو في فاس و إبراز أوضاع المجتمع المغربي من خلال نوازل فقهية متعددة في كتابه المعيار ، وإعادة كتابة مرحلة مهمة من تاريخ منطقتنا كونها اتسمت بمراحل زمنية في التاريخ جعلتها تتوسط الأوضاع السياسية و الاقتصادية و حتى الدينية التي تميز المغرب الإسلامي .

إن موضوع دراسة شخصية الونشريسي لم تفرد له دراسة مستقلة من قبل ولذلك حاولنا و تماشينا أن نحاول ولو بالجهد القليل أن نبرز هذه الشخصية التي كان لها أثر كبير .

تماشيا و طبيعة الموضوع و الجوانب التي تم تناولها من خلاله جاء المنهج استقرائيا تحليليا.

الإستقرائي : ويتمل في جمع المادة العلمية من مختلف المصادر و المراجع .

التحليلي: ويتمثل في استنباط الأحكام من المادة العلمية التي تم جمعها.

بدأنا بحثنا بمقدمة ضمناها تعريفا بالموضوع و مدخل وفصلين متدرجة كما يلي : حيث تناولنا في المدخل الأوضاع السياسية للدولة الزيانية أما الفصل الأول: الذي جاء تحت عنوان التعريف بأبي العباس الونشريسي فاندرج تحته ثلاث مباحث الأول: يتعلق بنسبه و مولده وحياته وأدرجنا فيه أسرته ونشأته و محنته و ارتحاله إلى فاس و وفاته ، المبحث الثاني: حول حياته العلمية تضمن البيئة العلمية و الثقافية و شيوخه ، أما المبحث الثالث :تحدثنا فيه عن آثاره و فأدرجنا فيه كذلك تلاميذه و مؤلفاته وثناء العلماء عليه و بالنسبة للفصل الثاني: عنوناه بكتاب المعيار الذي تندرج عنه ثلاث مباحث المبحث الأول :المعيار و قيمته العلمية و أدرجنا فيه التعريف بكتاب المعيار و أهم ما جاء فيه و قيمته العلمية و بالنسبة للمبحث الثاني :تعريف النوازل و أدرجنا فيه كذلك تعريف النوازل لغة واصطلاحا ، و الألفاظ المتصلة بالنوازل و أما المبحث الثالث :خصصناه لبعض نوازل الونشريسي ، النوازل الخاصة بالجانب الحضاري نموذجا كما لكل بحث خاتمة كما اعتمدنا

على ملاحق الأول يمثل خريطة تلمسان في العهد الزياني و الملحق الثاني يمثل أهم سلاطين العهد الزياني بتلمسان و الملحق الثالث عدد النوازل المذكورة في المعيار و الملحق الرابع خاص بجبال الونشريس و الملحق الخامس عبارة عن مخطوط من كتاب المعيار .

لإنجاز هذا العمل ساعدتنا الكثير من المصادر و المراجع التي تخدم عملنا ومن أهمها:

المصادر الإخبارية

_مصدر فقهي : الونشريسي، كتابه "المعيار" الذي أخذنا منه التعريف بالونشريسي ، وبعض المؤلفات كما أخذنا منه النوازل المتعلقة بالجانب الاجتماعي و الاقتصادي و الديني للمغرب الإسلامي

_ أبي زكريا يحي بن خلدون ،كتابه "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " وتطرقنا لجزئيه وأفادنا في تاريخ الدولة الزيانية و ذكر سلاطينها

_ و كتاب "العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمان بن خلدون وقد اعتمدنا خاصة على الجزء السابع الذي خصصنا منه قسما مهما للتعريف ببني عبد الواد و قيام دولتهم و تطورها

_ كتاب "تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، مقتطف من نظم الدر و العقبان في بيان شرف بني زيان " لأبي عبد الله بن عبد الجليل التنسي والذي اعتمدنا عليه في مراحل الدولة العبد الوادية

_ كتاب "تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان " لابن الأحمر الأندلسي الغرناطي والذي اعتمدنا فيه كذلك على سلاطين دولة بني عبد الواد و مراحلها

كتب الطبقات و التراجم

كتاب "البستاني ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " لأبي عبد الله محمد بن أحمد التلمساني الملقب بابن مريم و اعتمدنا عليه في ترجمة بعض الشخصيات

_ كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأبي العباس أحمد بن أحمد المعروف بابا التنبكتي ، اعتمدنا فيه على ترجمة علماء المغرب الأوسط خلال العهد الزياني

_ كتاب "تعريف الخلف برجال السلف "لأبي القاسم محمد الحفناوي ، وأفادنا كذلك في الترجمة لأهم علماء تلمسان و المغرب الأوسط .

المصادر الجغرافية

نجد كتاب " وصف إفريقيا "للحسن بن محمد الوزان و اعتمدنا عليه في وصف مدن المغرب و منها تلمسان بالإضافة إلى كتاب " الروض المعطار في أخبار الأقطار " للحميري الذي اعتمدنا عليه في التعريف بجبال الونشريس وغيرها من المصادر الأخرى .

الدراسات:

المراجع: اعتمدنا على كتاب "تلمسان في العهد الزياني " لعبد العزيز فيلا لي الجزء الأول الذي أخذنا منه المراحل السياسية للدولة الزيانية وسلاطينها بالإضافة إلى كتاب " تاريخ الدولة الزيانية " لمختار حساني والذي اعتمدنا عليه كذلك في الجانب السياسي للدولة الزيانية .

الرسائل الأكاديمية

مصدر : أبو زكريا المغيلي المازوني " الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة " اعتمدنا عليها في مؤلفات الونشريسي و نضال مؤيد " الدولة المرينية " وذلك في التعريف بالمرينيين .

المقالات

لامية زكري " من أعلام تلمسان أبو العباس أحمد الونشريسي " مجلة عصور الجديدة اعتمدنا عليها في العريف بحياة الونشريسي و إبراهيم حركات " الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب " مجلة الأصالة اعتمدنا عليه في البيئة العلمية و الثقافية ،بالإضافة إلى مصادر و مراجع ودراسات و مقالات ذكرناها في لبيبليوغرافيا .

المدخل

الأوضاع السياسية للدولة الزيانية

1 ـ الدولة الزيانية ومراحل تطورها

شهد المغرب الإسلامي بعد سقوط دولة الموحدين سنة 668هـ عدم الاستقرار بفعل تمرد بعض القبائل و ظهور الطامحين للسلطة وكثرة الفتن و التنافس بين الدول التي ظهرت على أنقاض دولة الموحدين(زيانية،حفصية،مرينية)إضافة إلى التحرشات المسيحية[1]

حددت كل هذه العوامل المشتركة مصير منطقة المغرب عامة و المغرب الأوسط خاصة بفعل إذ بتأثير هذه الظروف انقسم المغرب الإسلامي إلى ثلاثة وحدات سياسية وهي:[2]

1-الحفصيون وهم فرع من الموحدين ينتسبون إلى أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني وقد نجحوا في تأسيس دولتهم في الجزء الشرقي بدولة الموحدين و جعلوا مدينة تونس قاعدة لهم 625هـ/1227م[3]

2-بنو عبدا لواد أو بنو زيان تمكنوا من تأسيس دولتهم في سنة 633هـ/1235م[4] وكانت عاصمتهم تلمسان* استطاع بنوا الأحمر أن يشيدوا دولتهم بالأندلس 629هـ/1231م و اتخذوا من غرناطة قاعدة لهم بعد أن بادر ابن الأحمر بمصالحة مع ملك االإسبان[5]

3- المرينيون وهم ينتمون إلى قبيلة زناتة البربرية العظيمة و كان موطنهم الأول هو الصحراء فيما بين الزاب و سجلماسة،تم على أيديهم القضاء على ما تبقى من نفوذ الموحدين نهائيا سنة 668هـ وما ترتب عن هذا الانقسام هو تفكك بلاد المغرب حيث أصبحت فيه مجموعة من الدويلات و محاولة كل دولة السيطرة على أراضي باقي الدول و المواجهات العسكرية بين الحين و الأخر.

1- لخضر عبدلي:التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ، دار الأوطان ، (دون طبعة) ، 2011م ، ص38

2- ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، ع،هاني سلامة،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،بور سعيد،2001م،ص ص3 ،5

3- محمد الأمين،محمد علي الرحماني،المفيد في تاريخ المغرب،دار الكتاب الدار البيضاء،ص164

4 - رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ،ج1 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،دط،2011م

* تلمسان مدينة إسلامية شهيرة بالمغرب الأوسط و هي واقعة بين التل و الصحراء و تبعد عن وهران مسيرة ثلاثة أيام و تشرف على البحر الأبيض المتوسط و كانت عبارة عن قرية صغيرة سكنها البربر تسمى"أجدير" وقد افتتحها أبو المهاجر سنة 55هـ/674م وقد تلاحقت عليها الأزمنة،إذ بعد سقوط الموحدين قصدها بنو عبدا لواد و أسسوا فيها دولة الزيانين انظر اليعقوبي،البلدان مطبعة بربل،ليدن،1860م،ص137،و ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج2،دار صادر بيروت،ص44 ، أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية و المغرب ، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص72

5- عبدالعزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،ج1،موقع للنشر و التوزيع،الجزائر،2002-،ص14

الدولة الزيانية و مراحل تطورها:

تنتسب دولة بني عبد الواد أو بني زيان إلى الطبقة الثانية من قبيلة زناتة الكبيرة استقروا منذ أزمنة طويلة بالمنطقة الغربية للجزائر تمتد مواطنهم من تاهرت إلى نهر ملوية[1] ، وهم من أمراء القبائل الرحل ، كانوا يجوبون صحراء المغرب الأوسط بمواشيهم ولم يزالوا على ذلك الحال حتى تغلب الموحدون على أعمال المغرب الأوسط ، فكانوا سباقين إلى طاعتهم و صاروا من اخلص قبائل زناتة[2] ولاءا لهم ، فمنحهم الموحدون جزاء إخلاصهم ضواحي المغرب الأوسط و بلاد زناتة ، وبذلك ضمن بنو عبد الواد لأنفسهم مكانة في المغرب الأوسط[3] ومن هنا بدا تطور الدولة الزيانية.

المرحلة الأولى:نشأة الدولة الزيانية و توسعها

تمتد هذه المرحلة من 633-707هـ/1235.1307م في هذه الفترة نشأت الدولة الزيانية في تلمسان و امتدت على مساحة كبيرة حتى المغرب الأوسط واهم حكام هذه الفترة يغمراسن بن ثابت مؤسس الدولة و يعد من اشد بني عبدا لواد حرصا على علاقته بقبائل المغرب الأوسط و اعرفهم بمصالح قومه ، و قد تمكن أن يمد رقعة دولته و تنظيم شؤونها[4] و في ذلك يقول ابن خلدون " واتخذ الآلة و رتب الجنود و المسالح واستلحق العساكر ، وفرض العطاء و اتخذ الوزراء و الكتاب ، و بعث في الأعمال ، و لبس شارة الملك،و اقتعد الكرسي، و محا أثار الدولة المؤمنية "[5] كما قام بإخضاع القبائل العربية و البربرية لسيادة تلمسان ثم تولى البيعة لنفسه سنة 633هـ/1235م[6].

1- لخضر عبدلي،المرجع السابق،ص37

2- زناتة:من اكبر القبائل البربرية البشرية،تنتسب الى زنا بن جانا بن يحي سكنت المغرب الأوسط والادنى،انظر عبدالرحمان بن خلدون: العبر في ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،سهيل زكار ج7 دار الفكر 2000م ص04

3- خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية،دار العالمية للنشر و التوزيع.ط1،2011م ص221

4- التنسي:تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،ت ح،محمود أغا بوعياد،موفم للنشر،تلمسان،2011م ص115

5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص106

6- يحي بن خلدون:بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدا لواد.ج1،مطبعة بيير فونطانا،الجزائر1903،ص ص 110 111

حارب يغمرا سن قبائل توجين و مغراوة المجاورتين لتلمسان و التي كانت دائمة التمرد على سلطة تلمسان[1] كما قام بإخضاع مدن المغرب الأوسط مثل مدينة وهران و مدينة سجلماسة سنة 662هـ/1263م و مدينة مليانة 668هـ/1268م و مدينة تونس سنة 681هـ/1282م[2] وهذا لما لها من أهمية اقتصادية و سياسية و رغم فترة حكم يغمراسن الطويلة التي استمرت ما بين 633-681هـ/1235-1282م إلا أن سلطة تلمسان لم تشمل جميع المغرب و ذلك بسبب الولاء و الطاعة للحفصيين و كذلك مقاومة الدولة المرينية له و غزوهم تلمسان عدة مرات مما قلل توسعه غربا بل و خسارته بعض المناطق مثل سجلماسة سنة 672هـ-1273م[3] و بعد وفاة السلطان يغمرا سن سنة 681-1282م خلفه ابنه السلطان عثمان بن يغمراسن بن زيان[4] الذي اخضع قبائل مغراوة و توجين كما اخضع السلطان عثمان جبل وانشر يس و عمل على إخضاع المدن التي لم تخضع لسلطة تلمسان أيام السلطان يغمراسن[5] و في سنة 686هـ-1287م كما حاول حاول السلطان ضم بجاية لسلطته و طرد الحفصيين منها إلا انه فشل ومن ناحية أخرى قام السلطان المريني يوسف بن يعقوب من محاصرة تلمسان سنة 698هـ/1299م و أسس مدينة المنصورة كمعسكر للجيش وهكذا بقيت على هذا الحال مدة ثماني سنوات ما بين 698-706هـ/1298-1308م[6]

1- الزركشي:تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تخ،محمد ماصود ، ج2 ، المكتبة العتيقة ، تونس ،ط2،1966م،ص29التنسي،المصدر السابق، ج7،ص32

2- عبدالرحمان بن خلدون، المصدر السابق ،ج7،ص89

3- يحي بن خلدون، المصدر السايق،ج1،ص115-السلاوي الناصري،الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج3،تخ،جعفر الناصر،دار الكتاب،الدار البيضاء،1904م،ص32 ، عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2 ، 1994م ،ص151

4- محمد الطمار تلمسان عبر العصور دورها في السياسة و حضارة الجزائر ،تقديم عبدالجليل مرتاضي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2007م ص101

5- يحي بن خلدون المصدر السابق،ج1،ص118

6- ابن خلدون المصدر السابق،ج1،ص127، مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه : سهيل زكار و آخر ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1979م ص177

وهكذا توفي السلطان عثمان بن يغمرا سن في أثناء الحصار ليخلفه بعد ذلك ابنه السلطان محمد أبو زيان الذي أعاد سلطة تلمسان داخل المغرب الأوسط.[1]

وفي سنة 703-708هـ/1304-1308م أراد أن ينتقم لما حدث عهد والده و لكنه لم يستطع و اضطر إلى مصالحتهم[2] و ذلك بناء على الاتفاق مع الأمير أبي ثابت المريني المحاصر لتلمسان ، وتنازل لهم عن جميع الأعمال التي كان يوسف بن يعقوب قد استولى عليها من بلادهم و جاء بجميع الكتائب التي انزلها في ثغورهم[3] و بدأ الزيانيون بإعادة سيطرتهم على القبائل فبدءوا من مغراوة سنة706هـ-1307م[4] ليستلم بعدها السلطان أبو حمو الحكم بعد وفاة أخوه السلطان محمد أبو زيان زيان

سنة 707هـ-1308م حيث قام هذا الأخير بإخضاع القبائل لسيادة تلمسان فاخضع قبيلة توجين سنة 710هـ-1310م و استولى على منطقة جبل وانشريس اللذين أخذا من تلمسان أيام الحصار و بذلك أعادت تلمسان سيطرتها على الأراضي[5] و أهم توسع للدولة الزيانية كان شرقا على حساب حساب الحفصيين إذ استطاع السلطان أبو حمو الأول ضم مدينة الجزائر سنة 712هـ-1312م و غيرها من المدن الشرقية و بعدها ثار عليه ابنه أبو تاشفين فقتله و تولى مكانه سنة 718-737هـ/1318-1337م[6] و الذي واصل بدوره الضغط على المناطق الشرقية الأمر الذي أدى إلى تحالف المريني و الحفصي ضده[7] ليحاصر السلطان أبو الحسن المريني تلمسان مدة سنتين735-738هـ/1336-1338م إلى أن سقطت المدينة وأخضعوها لسيطرتهم ، وقتل أبو تاشفين الزياني و

1- التنسي،المصدر السابق،ص131 ، ابن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، صور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972م ، ص389

2- ابن الأحمر، المرجع السابق، ص29

3- عبدالرحمان بن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص130

4- يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1،ص130-محمد الطمار ، المرجع السابق ، ص123

5- التنسي ، المصدر السابق ، ص ص 136 137 ، مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص457

6- رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ج1، ص75 -محمد الطمار،المرجع نفسه،ص127

7- مختار حساني ، تاريخ الدولة الزيانية ،ج1، الأحوال السياسية ، منشورات الحضارة ، برج الكيفان ، 2007م،ص11 ، الزركشي ، المصدر السابق، ص ص112 113

ألحقت تلمسان بالدولة المرينية و ضلت تلمسان تحت سلطان بني مرين خمسا و عشرين سنة و بهذه الفاجعة التي حلت بالدولة الزيانية انتهت المرحلة الأولى.[1]

المرحلة الثانية:إحياء الدولة الزيانية

الفترة الأولى:إحياء الدولة

إعادة إحياء الدولة الزيانية وهي على فترتين

الفترة الأولى:و كانت على يد الأميرين الشقيقين أبي سعيد و أبي ثابت بعد هزيمة السلطان أبي الحسن المريني في معركة القيروان سنة 749 هـ/1348م [2]

رغم قصر المدة الممتدة من 749 إلى 753هـ/1348 إلى 1302م إلا أننا نجد أنه تولى الحكم فيها شخصان في آن واحد وهما الأخوان أبي سعيد و أبي ثابت ،كان بيد أبي سعيد إدارة الشؤون السياسية في تلمسان بينما الأمير أبي ثابت بيده الشؤون العسكرية و قيادة الجيش[3]، وهنا تم استقلال استقلال تلمسان بشكل كامل عن نفوذ الدول المجاورة ، إذ كان السلطان أبا سعيد لا يلتزم بالولاء لأحد ، و كان للقبائل العربية و البربرية دور في إعادة تلمسان للحكم الزياني [4] وذلك كرد فعل على منع السلطان أبي الحسن المريني للضرائب التي كانت تأخذها القبائل العربية و ضغط المرينيين على القبائل البربرية بإلزامهم بالاشتراك معهم في الحروب[5] ولم يكتب لهذه الفترة أن تطول بسبب قتل الأميرين أبي سعيد و أبي ثابت عند دخول المرينين لتلمسان و حكمهم للمغرب الأوسط مرة أخرى[6] أخرى[6]

الفترة الثانية:

إعادة إحياء الدولة الزيانية سنة 760هـ_1359م وذلك على يد الأمير أبي حمو موسى الثاني بمساعدة الدولة الحفصية و القبائل العربية و البربرية في المغرب الأدنى و شرق المغرب الأوسط ، للرد

1 - رمضان شاوش،نفسه،ص76-يحي بن خلدون،المصدر السابق،ج1 ، ص ص 140 142

2_ عبد الرحمان ابن خلدون، المرجع السابق، ج7، ص365

3_ نفسه ، ج7 ، ص156

4_ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص151

5_ التنسي ، المصدر السابق ، ص ص 152 153

6_ رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص84

على السلطان أبي عنان [1] و قد اهتم السلطان أبي حمو موسى الثاني بإعادة المدينة لسابق عهدها و دخلت بعض المدن و القبائل تحت سيادة تلمسان طوعا ،كما رفضت بعض القبائل و المدن الدخول تحت سيادة تلمسان ذلك بإعلانهم العصيان[2] فأرسل السلطان جيوشه لإخضاعها ، منها مدينة وهران و مدينة تنس التي دخلها سنة 760هـ / 1361م و أخذها من قبيلة مغراوة [3] ودخل مدينة المدية سنة 760هـ / 1359م ومدينة الجزائر سنة 762هـ بعد اتفاق مع المريني على الانسحاب منها [4]و مدينة تدلس سنة 776هـ / 1270م [5]كما بذل السلطان مجهودا في جعل تلمسان و المدن الزيانية منارا للعلم و الأدب و الفن [6]

و رغم التطور الذي شهدته تلمسان في عهد إلا أنه واجه بعض الخلافات مع الأمير محمد أبي زيان الذي قاد ثورة ضد السلطان استمرت زهاء عشر سنوات .[7]

بعد القضاء على ثورة الأمير محمد أبي زيان ، ظهر صراع آخر على السلطة حيث خرج الأمير أبي تاشفين على والده أبو حمو الثاني مما أدى إلى مقتل الأب أبي حمو و تولى أبي تاشفين منصب السلطان.[8]

المرحلة الثالثة: الضعف و السقوط

استمرت هذه المرحلة حوالي مائة و سبعين سنة ما بين (791_962هـ / 1386 _ 1504 م) امتازت هذه الفترة بضعف السلطة الزيانية في تلمسان و توالي فيها الأمراء واحد بعد واحد دون مجد أو فخر وتقلص سيادة تلمسان عن مساحة كبيرة من المغرب الأوسط و تبعية السلطان الزياني للدول المجاورة المرينية و الحفصية ، و بالرجوع إلى تاريخ ولادة الونشريسي نجده يعاصر فترة حكم " أبو العباس العاقل ابن السلطان أبي حمو موسى الثاني 834هـ/ 866هـ " وقد كان هذا الأخير

1_مؤلف مجهول ،زهر البستان في دولة بني زيان ، تحقيق: بوزيان الدراجي ، ج2 ،مؤسسة بو زياني ،الجزائر ،2013م ، ص34

2_يحي بوعزيز ، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، دار الغرب للنشر والتوزيع ،الجزاى وئر ، ط2 ، 2003م

3_ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص ص 50 52

4_يحي بن خلدون ، المصدر السابق ، ج2 ، ص63

5_ الزركشي ، المصدر السابق ، ص100 ، عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 186

6_ رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص89

7_ مؤلف مجهول ، زهر البستان ، المصدر السابق ، ص37 ، عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص187

8_ التنسي ، المصدر السابق ، ص134

مدعوما من طرف الحفصيين ، وقد ضبط الأمور و استتب الأمن و اظهر السلوك و السيرة مما أكسبه عطف الرعية و مودتهم و هذا ما جعله ينقلب على الحفصيين سنة 837هـ .[1]

وقد خرج أبي فارس الحفصي إليه واحتل جبل الونشريس قهرا و ضم أهله تحت طاعته و لكنه توفي وهو في طريقه نحو تلمسان فعاد جيشه ، و لم تهدأ الأوضاع في فترة العاقل حتى ظهر أخوه المعتصم. المدعو أبو يحي، و الذي أغار على تلمسان بمساعدة من أحياء العرب سنة 840هـ ولكن أبا العباس ردهم فأرتد أبو يحي إلى وهران و استولى عليها .[2]

كما انشغل أمراء بني زيان في الخلافات و الخصومات و الصراعات ، بل و الحروب ، فيما بينهم أحيانا مما ساعد القوى الخارجية على إلحاق الهزائم بهم و بإمارتهم ، و إضعاف شأنهم و شأنها ،ففي سنة 842هـ هاجم المغرب الأوسط أبو زياد محمد الملقب بالمستعين بدعم الحفصيين وقد لعبت القبائل العربية دور كبير ، واحتل مدينة الجزائر و متيجة و تونس و مليانة [3] ، وقد واصل في توسعاته حتى شارف على حدود سلطان أبي العباس العاقل ، لكنه عاد للجزائر ليؤسس لدولته الجديدة ، ولكن أبا يحي أخ السلطان أبي العباس أطاح به .

و تجدد الصراع بين أبا العباس و أبي يحي على مدينة وهران سنة 851هـ ففر أبا يحي لبجاية ثم لتونس و توفي بها سنة 864هـ .

أما الحفصيون فلم يفوتوا الفرصة للدخول في المشاكل التي لحقت بالبيت الزياني مما جعلهم يزحفون على المغرب الأوسط و يتوسعوا في البلاد ، فخرج أبو عمرو عثمان الحفصي سنة 866هـ [4] متجها لتلمسان مستعينا بالعرب كقبائل سويد و بنو عامر ، وهذا ما جعل أبي ثابت يبايع أمي عمرو و بذلك كانت المبايعة سليمة .

1_ مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص462

2_ مختار حساني، المرجع السابق، ج1 ، ص15

3_ مليانة مدينة قديمة ، تقع جنوب غرب الجزائر ، بناها الرومان و أطلقوا عليها اسم مكنانة و قد حرف العرب الاسم فأصبح مليانة ، سكنها بلكين بن زيري وكانت مشهورة بطواحينها ، أنظر : الحسن الوزان، المصدر السابق،ج2 ص34 35

4_ مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص465

وفي هاته الظروف المتردية ، اضطر أبو العباس الونشريسي إلى مغادرة البلاد بسبب العلاقة السيئة بينه و بين السلطة وقد أشرنا إلى ذلك سابقا ، و بهجرته انتقل إلى جو سياسي آخر ربما لا يكاد يختلف عن نظيره في المغرب الأوسط [1].

إلا أن هناك فترات تمتعت فيها الدولة الزيانية بالاستقلال و السيادة المطلقة ، مثل فترة السلطان أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني.[2] الذي أخذ المناطق الشرقية من أيدي الحفصيين و فتح فاس العاصمة المرينية سنة 867هـ / 1425م [3] كما بذل بعض السلاطين أمثال السلطان أبي مالك و أبي الحمرة و أحمد العاقل مجهودا كبيرا لإبعاد الدولة الزيانية عن نفوذ الدول المجاورة غير أن الخلافات العائلية كانت لهم العدو الأكبر و هذا ما جعلها فرصة لأعدائهم من أجل السيطرة على مدينتهم و على المنطقة و فرض الصلح على المدينة وهذا ما حدث مع السلطان أحمد العاقل من قبل الدولة الحفصية [4] .

وبهذا ضعف أمر السلطة في هذه المرحلة بحيث أصبح بعضهم يحكم لأيام أو شهور ثم يستبدل بشخص آخر ،كما حدث مع السلطان أبي زيان الثالث الذي حكم لعدة أسابيع فقط و السلطان أبي ثابت بن أبي تاشفين الثاني الذي حكم أربعين يوما ، و استمرت تلمسان و الدولة الزيانية بالضعف و فقدان أراضيها و سلطتها إلى أن انتهت[5]

1_ الناصري، المصدر السابق، ج2، ص ص95 96

2_ التنسي، المصدر السابق ، ص184

3_ المصدر السابق، ص240

4_ الزركشي ، المصدر السابق ، ص157 ص158

5_ رمضان شاوش ، المرجع السابق ، ص94

الفصل الأول

التعريف بأبي العباس الونشريسي

1_ نسبه و مولده و حياته

2_ حياته العلمية

3_ آثاره

الفصل الأول:التعريف بأبي العباس الونشريسي (834_914هـ / 1479_1508م)

يعتبر أبو العباس أحمد الونشريسي من أهم العلماء تأثيرا في الحياة الثقافية بالمغرب الإسلاميو الأوسط خاصة خلال الفترة المتأخرة من العصر الوسيط ، وما عرفته من الواقع سياسي متأزم خاصة بعد سقوط غرناطة (897هـ/ 1492م) ، و كان تأثير هذا الوضع على المجال العلمي و مساهمته برفع القيمة في مجال التأليف الذي أغناه بعدة كتب لعل من أبرزها "المعيار" الذي جمع فيه نوازل عديدة شكلت مادته الأساسية ، إضافة إلى موافقه السياسية و جرأته الأدبية.

المبحث الأول: نسبه و مولده

نسبه :

هو أبو العباس احمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي يكنى بابي العباس و عرف و اشتهر بالونشريسي ،و هو تلمساني المنشأ و فاسي الدار و المدفن [1]

1_ ابن مريم (أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد) ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، تحقيق : محمد أبي شنب ، مطبعة الثعالبية ، الجزائر ، دون طبعة ،1908م ، ص ص 53 54 ، الحفناوي (أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم الغول) ، تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة بيير فونتانة الشرقية ، الجزائر ، دط ، 1906م ص ص 57 58 ، عمر رض كحالة ، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1993م ، ص325 ، مخلوف (محمد بن محمد مخلوف) ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ج1 ، المطبعة السلفية و مكتبتها ، القاهرة ، دط ،1349هـ ،ص ص 274 275 ، الزركلي (خير الدين) ، الأعلام ، ج1 ، دار الملايين ، ط5 ، بيروت ، 1980م، ص269 ، التنبكتي (أحمد بابا)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ج1 ،كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ط1 ، 1989م ،ص ص 135 136 ، الكتاني(عبد الحي بن عبد الكبير)، فهرس الفهارس الإثبات ومعجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات ، اعتناء : إحسان عباس،ج1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م ص1122 ، الشفشاوي(محمد بن عسكر الحسني)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ،تحقيق: محمد حجي، دار الغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط ، ط2 ، 1977م، ص ص 47 48 ، المنجور، فهرس أحمد المنجور ، تحقيق : محمد حجي، دار الغرب للتأليف والترجمة و النشر،الرباط،دط ،1976م، ص، ص 50 55 ، محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ،1996م،ص10 ، احمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، دط،1993م،ص156 ، الناصري(أبو العباس أحمد بن خالد)، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق: جعفر الناصر و آخرون، ج4 ، دار الكتاب، الدار البيضاء، دط، 1954م،ص125 ، الكتاني(محمد بن جعفر الإدريسي)،سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس ، تحقيق:محمد حمزة بن علي الكتاني، ج2، دط، دت، ص172

مولده :

ولد الونشريسي حسب ما ذكره "المقري " في كتابه " أزهار الرياض" [1] و صاحب " السلوى" أنه " ونشريسي الأصل و المولد "[2]،ولم يصرح بذلك بقية من ترجموا له ، غير أن الأستاذ "حجي " في " الوفيات " [3]ذكر أنه ولد بتلمسان ، ثم تراجع عن ذلك في مقدمة تحقيق كتاب المعيار المعرب [4]، أنه ولد بجبال ونشريس التي تقع غرب الجزائر [5] و كانت ولادته تقريبا سنة (834هـ / 1431م) [6] .

أسرته و نشأته :

نشأته

لا تذكر المصادر أية معلومات حول نشأة الونشريسي غير انه ارتحل في طفولته المبكرة مع أسرته إلى تلمسان كما انه حفظ القران الكريم في كتاب قريته و تعلم مبادئ اللغة العربية على يد شيوخها و لما لاحظ والده حبه للعلم و اجتهاده في طلبه انتقل به إلى مدينة تلمسان و كانت

1_ المقري(أحمد بن محمد التلمساني) ، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه: مصطفى السقا و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، دط، القاهرة، 1939م،ص ص 65 66

2_ الكتاني ، سلوة الأنفاس المصدر السابق ، ص172

3_أحمد بن القاضي ، ألف سنة من الوفيات ، جمع وتحقيق : محمد حجي ، دار الغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط 1976م، ص4 ، البغدادي (إسماعيل باشا) ، هدية العارفين و أسماء المؤلفين و أثار المصنفين ، ج1، وكالة المعارف الجلية في مطبعتها البهية ، استانبول ، 1951م، ص138

4_ الونشريسي ،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981م ، ص أ4

5_ جبل الونشريس في قبلة فكان، وبه شعراء غامضة ، و تسكنه قبال البربر مكناسة و أوربة و كتامة و مطماطة و زواوة و غيرهم ، وطول هذا الجبل أربعة أيام و ينتهي طرفه إلى قرب تاهرت ،كما ذكره الحميري ، أما الحسن الوزان فيذكر الونشريس :هذا الجبل شاهق تسكنه قبيلة نبيلة حاربت ملوك تلمسان عدة مرات و دامت هذه الحروب أكثر من ستين عاما بسبب مساندة ملوك فا س أما الشريف الإدريسي فتطرق إليها لما تحدث عن مليانة فقال: "...وفي جنوبها الجبل المسمى بجبل وانشريس يسكنه قبائل من البربر منها مكناسة وحرسون و أوربة ..."أنظر:الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح : إحسان عباس، مكتبة لبنان ، ط2، 1984م ص600 ، الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، تر : محمد حجي و آخر،ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2 ،1983م،ص45 ، الإدريسي، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تح:إسماعيل العربي،دم ج،الجزائر،1983، ص ص 154 155

6_تبقى سنة مولده مجهولة غير أن تحديدها بحوالي 834هـ/1430م و توفي سنة 914هـ/1508م عن عمر يناهز الثمانين سنة حسبما نقله ابن مريم ، المصدر السابق ، ص ص53 54 و التنبكتي ، المصدر السابق ، ص ص135 136

آنذاك حاضرة للعلم و الثقافة، فتفقه الونشريسي و اخذ العلم على كبار فقهاء زمانه في تلمسان و الم بكل العلوم التي كانت تدرس آنذاك[1]

أسرته:

لم يكتب الونشريسي شيئا عن أسرته كما أن المراجع و المصادر لم تشر إلى أي من أفراد أسرته أو إلى أن أفراد آسرته كانوا ذو شان أو لهم ذكر في المجال العلمي و هذا إن دل على شيء فيدل على أن أسرة هذا الشيخ كانت بسيطة، و انه تربى تربية بسيطة في كنف هذه الأسرة[2]

أما عن أسرته الصغيرة لا نعرف عنها سوى ما أشارت إليه المصادر أن مولد ابنه كان في فاس بعد رحيله عن تلمسان و يفيدنا من هذا صاحب "سلوة الأنفاس" بذكره لتاريخ وفاة هذا الابن أي "عبد الواحد الونشريسي أبا محمد أو أبا مالك" فقال:انه توفي قتيلا و ذلك ليلة الاثنين 17 ذي الحجة سنة 955هـ-1548م عن عمر يناهز 70 سنة و هذا يدل على انه ولد حولي سنة 885هـ-1480م[3]

1- لامية زكري ،من أعلام تلمسان أبو العباس الونشريسي،مجلة عصور الجديدة،جماعة وهران الجزائر،عدد10،صيف جويلية،2014،ص62

2- نفسه،ص62

3- الكتاني،سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء و الصلحاء بفاس،تح،عبدالله الكامل الكتاني،ج2،دار الثقافة

محنته و وفاته :

ارتحاله إلى فاس:

لما بلغ الونشريسي الأربعين من عمره و ذاع صيته في تلمسان و كامل المغرب الإسلامي و أشتهر بعلمه وفقهه و شدته في قول الحق و إنه قوال للحق لا تأخذه في حق الله لومة لائم ، انتقل

إلى فاس [1]في أول محرم من سنة 874هـ-1469م[2] و قد ذكر الونشريسي تاريخ رحلته إلى فاس قائلا:"...سئلت في عام أربعة و سبعين و ثمانمائة إثر ورودي مدينة فاس أحاطها الله من كل بأس[3]".

ويجمع المؤرخون على أنه ترك تلمسان مكرها و السبب في ذلك الواقعة التي تعرض لها على يد السلطان الزياني محمد بن أبي ثابت المتوكل على الله و هذه الواقعة لم يذكرها الونشريسي بنفسه كما سكتت عنها المصادر رغم أنه كان ذا وزن و ثقل آنذاك بدليل الاستقبال الفخم في فاس و الاحتفاء[4] به و لعل سبب الاستقبال كان لعلاقته السيئة بسلطان الزياني و لربما يكون السبب هو ما كان يحدث في الأندلس من تقاعس حكام الدولة في نجدة المسلمين فهو ما أغضب الونشريسي لذلك واستنكر على السلطان الزياني محمد المتوكل مواقفه المزرية جهارا و هذا ما أزعج السلطان،خاصة عندما نجد أن الونشريسي كانت تأتيه أسئلة كثيرة عن جواز بقاء المسلمين في

---

1 _ فاس ،بفلء ثم ألف وسين ، مدينة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، في أصلها مدينتان عدوة القرويين و عدوة الأندلسيين ، تقعان في سفح جبل يفصل بينهما نهر ، وقد ذكر الجزنائي ثلاث روايات عن سبب تسميتها بفاس وهي أن إدريس عندما أراد بناء أساسها صنعت له فأس من ذهب و ثانية أنه وجد فأسا كبيرة عند حفر الأساس و الثالثة أنه تيمن باسم مدينة كانت في ذلك الموضع ، أنظر : ياقوت الحموي ،المصدر السابق ، ص230 ، علي الجزنائي ، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق :عبد الوهاب منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، المغرب ،ط2 ،1991م ، ص ص 23 ،24

2- الكتاني، سلوة الأنفاس ،مصدر سابق،ج2 ، ص172 -الونشريسي ، المصدر السابق ،ج1،ص ج

3-الونشريسي ،عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجنوع و الفروق،دراسة و تحقيق حمزة أبو فارس دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان 1411هـ/1990م،ص79

4- لامية زكري ، المقال السابق،ص62 -التنبكتي ، المصدر السابق،ج1،ص135 – مخلوف،المصدر السابق،ج1،ص274 – عبدالله الترغي ، فهارس علماء المغرب ، ط1 ، 1991م ،ص627 – البوعبدلي،الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحي الونشريسي، مجلة الأصالة مجلد23 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ،تلمسان ،2011 ، العدد 83، 84 ، ص22

الأندلس بعد سقوطها، وهذا ما عجل به على الرحيل مرغما إذ نهبت داره من مجموعة من الهمجيين و مع كل هذا لم تخبر المصادر عن طبيعة[1] هذه الحادثة و كيف جرت و ما الداعي لها؟

سكناه بمدينة فاس

لما وصل الونشريسي إلى مدينة فاس استقبله أهل هذه المدينة استقبالا رائعا و لقي من أهلها كل ترحيب و تبجيل فقد احتفى به علمائها،و أقبل عليه العلماء و طلبة العلم ينهلون من علمه و فقهه و هذا ما جعله ينسى غربته و يستقر فيها هو و أهله حتى وفاته[2].

مكانته العلمية:

كان الونشريسي من أهم الشخصيات التي كان لها حضور قوي في الحياة الثقافية في المغرب الإسلامي نظرا لقيمة تأليفه و أهميتها ، و تنوعها .

و كان الونشريسي محل الاحترام و التقدير من الخاصة و العامة لتجنبه الخوض في السياسة و مغالطة أولي الأمر [3]و استطاع أن يجد لنفسه بمنزله فاس مكانا ضمن كبار العلماء الذين ذاع صيتهم و كان متقدما في الحديث حافظا له واقفا على أحوال رجاله و طبقاتهم ضابطا لذلك كله ، ذاكرا للسير و المغازي و التواريخ و الأدب فاق في ذلك جلة أهل زمانه و هكذا العالم الحقيقي فإن كبر سنه و ما بلغه من علم وفقه لم يمنعاه من طلب العلم و الجلوس للأخذ و التلقي عن العلماء[4] .

و سماه المقري" بالإشارات الحسان المرفوعة إلى حبر فاس و تلمسان و يعني بحبر فاس و تلمسان:الشيخ الونشريسي[5].

و بعد أن تمكن " الونشريسي " من علوم عصره ، و في مقدمتها الفقه و علوم اللغة ، توسع نشاطه بعدما انتقل إلى فاس فتوجه إلى التدريس في العديد من المساجد و المدارس منها مدرسة

1- أحسن زقور ، أبحاث في المخطوطات ، ابو العباس أحمد الونشريسي و مخطوطه المنهج الفائق في علم الوثائق، منشورات دار الأديب ، وهران ، الجزائر ،2007 م ، ص ص 56 57

2- المنجور ، المصدر السابق،ص50

3_ بلبشير عمر، ورقات من حياة و أثار صاحب المعيار ، مجلة عصور ، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر و تراجم، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة وهران ،عدد 5/4 ديسمبر 2003م ،جوان 2004م ،ص58

4- المصدر نفسه،ص50 ، لامية زكري ، المقال السابق ،ص63 ، ابن مريم:البستان،المصدر السابق،ص53 ، مخلوف ، المصدر السابق،ص275

5- المقري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج3، ص65

المصباحية [1] إحدى مدارس القرويين و التي كان يدرس بها" المدونة " لسحنون[2] واستمر على ذلك مع تدريسه فرعي ابن الحاجب[3] و كثيرا ما كان يدرس بالمسجد المعلق بالشراطين [4] من فاس القرويين المجاور لدار الحبس التي كان يسكن بها بالإضافة إلى علوم اللغة العربية و النحو و الصرف و البلاغة و كان مشاركا في فنون من العلم حسبما تضمنت فهرسته إلا أنه اكتفى بتدريس الفقه فقط ، يقال من لا يعرفه أنه لا يعرف غيره ، لأنه كان فصيح اللسان و القلم حتى كان بعض من يحضر دروسه يقول " لو حضره سيبويه لأخذ النحو عنه " و أكثر ما اشتهر به الفتوى و الفقه ، فكان الناس يقصدونه من كل حدب و صوب يستفتونه ، كما راسله العلماء يطلبون منه الإفتاء والمشورة [5].

1_ هذه المدرسة بناها أبو الحسن المريني ، وعرفت بالمصباحية نسبة إلى الشيخ أبو الضياء مصباح ابن عبد الله الياصلوتي الفقيه المشهور ، ونسبت إليه لأنه أول من عين للتدريس فيها أنظر: الناصري ، الإستقصا المصدر السابق ، ج3 ، ص176

2_ هو عبد السلام بن سعد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون ، قاضي،وفقيه،ولد سنة160هـ ، تولى قضاء القيروان سنة234هـ/848م، وتوفي سنة 240هـ/854م، أنظر: ابن قنفد ، كتاب الوفيات ، تح:عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4 ، 1983م،ص ص174 175 ، ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب،تح:مأمون محي الجنان،دار الكتب العلمية،ط1 ، بيروت ،لبنان، 1996م،ص ص 263 344 ، المالكي، رياض النفوس،تح:بشير البكوش،راجعه:محمد لعروسي المطوي،ج1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1983،1م،ص ص345 375

3_هو أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر يونس المعروف بابن الحاجب المصري(750_646هـ/1174_1248م)،فقيه مالكي ،كان والده حاجبا،فعرف به، و أول من ادخل المختصر الفرعي ببجاية منها انتشر بالمغرب.أنظر:ابن العماد،شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق و تعليق:عبد القادر الأرناؤوط و آخر،ج5 ،دار ابن الكثير ،دمشق،ط1، 1988م ،ص234 ،ابن خلدون،وفيات الأعيان،تح:إحسان عباس،ج3،دار صادر،بيروت،دط،دت،ص ص248 250 ، مخلوف،المصدر السابق،ج1 ،ص ص167 168

4 _ مدرسة رأس الشراطين التي توجد في عدوة فاس القرويين ، فلقد أسسها السلطان العلوي المولى الرشيد بن الشريف . أنظر: محمد المدرع النجار الأندلسي ، أرجوزة في مشاهير صلحاء فاس ، تحقيق : خالد بن أحمد الصقلي ، كليةالآداب و العلوم الإنسانية ، فاس ، ص56

5_ ابن مريم ، المصدر السابق ، ص53 _ المنجور ، السابق ، ص50

وفاته:

يقول ابن مريم في البستان"توفي سنة أربعة عشر و تسعمائة(914هـ/1508م)[1]عن عمر يناهز الثمانين سنة و كانت و فاته يوم الثلاثاء عشرين من شهر صفر بمدينة فاس و دفن بباب الفتوح[2] و دفن كما يقول ابن القاضي-كما في "التنبيه"وغيره – قرب سيدي محمد ابن عباد،و رثاه الفقيه أبو عبد الله محمد ابن الحداد الوادي آشي ثم الغرناطي،نزيل تلمسان،يقطع من الشعر[3] ذكرها المقري في "أزهار الرياض"منها قوله:

لقد أظلمت فاس بل الغرب كله بموت الفقيه الونشريسي أحمد

رئيس ذوي الفتوى بغير منازع و عارف أحكام النوازل الأوحد

له دربة فيها و رأي مسدد بإرشاده الأعلام في ذاك تهتد

و تالله ما في غربنا اليوم مثله و لا من يدانيه بطول تردد

عليه من الرحمة أفضل رحمة تروح على مثواه فيضا و تغتد[4]

1- نفسه ، ص ص 53 54 ، مخلوف ، المصدر السابق،ج 1، ص275 ، الحفناوي ،المصدر السابق،ص136

2-السلاوي الناصري ،المصدر السابق ،ج4،ص165

3-الكتاني،سلوة الأنفاس، المصدر السابق ،ج 2 ، ص173

4-المقري،أزهار الرياض،المصدر السابق ،ج3 ،ص306

المبحث الثاني:حياته العلمية

أ – البيئة العلمية و الثقافية

إن الحياة العلمية في القرنين الثامن و التاسع الهجري كانت تسير على عكس الحياة السياسية في المغرب الإسلامي إذ كانت فترة عطاء و فترة ازدهار علمي رائع حيث كان تشجيع الدولة للحركات العلمية يتخذ صورا و أشكالا مختلفة[1] حيث شهدت تلمسان في العصر الإسلامي الوسيط حياة فكرية رائدة و حركة تنوير واسعة للعلوم و المعارف الإسلامية المختلفة امتدت تأثيراتها وإشعاعاتها إلى المدن و العواصم الإسلامية الكبرى وانكب امرؤ ها و سلاطينها على البناء الحضاري بمفهومه الواسع خاصة بناء المدارس العلمية،وانكب جيل من العلماء للتدريس بها،وتثقيف الأجيال و تنويرها،والنهوض بها[2] .

وهكذا أسس الأمير أبو حمو موسى الأول،أول مدرسة علمية بتلمسان في مطلع القرن الثامن الهجري و خصصها للعالمين الفاضلين ابني الإمام:أبي زيد عبد الرحمان،و أبي موسى عيسى ليدرسا بها و من بعده أسس ابنه الأمير تاشفين الأول المدرسة التاشفينية سنة 748هـ[3] وبعد حوالي ستة سنوات أمر الأمير أبو حمو موسى الثاني ببناء المدرسة اليعقوبية سنة 763هـ-1362م[4] وخصصها للعالم الفقيه أبي عبد الله محمد الشريف الحسني التلمساني،وولده أبي محمد من بعده ليدرسا بها و ينشرا علومهما و معارفهما الواسعة[5].

إضافة لذلك نجد من بين العوامل المؤثرة في ازدهار الحياة العلمية وفود عدد كبير من علماء الأندلس نحو بلاد المغرب الاسلامي ، وبذلك كان شعاعهم العلمي ظاهرا جدا ، ولو قلنا أن تلمسان و فاس كانتا منبع كبير لحركة علمية راقية لتأكيد ذلك من خلال كثرة العلماء الذين أنجبتهم

1- أحسن زقور،المرجع السابق،ص68

2- يحي بوعزيز،مدينة تلمسان،ص07

3- المدرسة التاشفينية:تعد ثاني مؤسسة زيانية أسست بالمغرب الأوسط بناها السلطان أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول و انسبها اله وكانت تسمى في حياته باسمه،ثم دعيت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته و بناها بجانب جامع الأعظم انظر:صالح بن قربة وآخرون،المرجع السابق، ص ص 144 145

4- المدرسة اليعقوبية أسسها أبو حمو موسى الثاني سنة 765هـ و كان الملوك الزيانيون يولون هذه المدرسة عناية خاصة وهي تقع بالقرب من المقبرة الزيانية أنظر :أحسن زقور،المرجع السابق،ص71

5- يحي بوعزيز،مدينة تلمسان المرجع السابق،ص07

المدينتان وقد كانتا على اتصال مستمر رغم انفصالهما سياسيا و كلاهما عاصمة سياسية تحتضن السلطان مما يؤدي إلى إنفاق أموال كبيرة على العلم و المعرفة و تشجيع التنافس العلمي و الفكري ،وهكذا دفع بأغلب أهل العلم بالاستقرار بها و الهجرة التي أشرنا إليها سابقا من الأندلس إلى المغرب الإسلامي وهذا ما كون الجماعة الأندلسية فحملوا معهم حضارتهم فساهموا في تسريع وتيرة الحركة العلمية ومن خلال ما ألفه الونشريسي وغيره في عصره يتضح أن هناك نقلة نوعية من حيث طغيان العلم على مختلف الجوانب الحياتية داخل المجتمع الحضاري.

ومن خلال كل هذا يظهر أن العصر الذي عاش فيه الونشريسي تميز بحياة علمية شبه مزدهرة الحال تعرف على فترات نوعا من الركود و هذا بعد القرن التاسع الهجري[1].

[1] _ إبراهيم حركات، الصلات الفكرية بين تلمسان و المغرب، مجلة الأصالة، الجزائر، عدد26، 1975م، ص188

شيوخه:

تفقه الونشريسي على كبار فقهاء وقته في تلمسان و ألم بكل العلوم التي كانت تدرس آنذاك ففي تلمسان تتلمذ على يد مجموعة من العلماء في مقدمتهم العقبانين [1]كأبي الفضل قاسم بن سعيد العقباني وولده القاضي أبو سالم و حفيده محمد بن أحمد، وعن الشيخ بن أحمد عيسى الجلاب و الشيخ ابن مرزوق الكفيف، وأحمد بن زكري و غيرهم و بعد انتقاله إلى فاس استفاد كذلك من علمائها في مقدمتهم قاضي مكناس محمد ابن أحمد اليفرني وهؤلاء أغلب شيوخه وهم من خيرت العلماء في المغربين الأوسط والأقصى حيث يظهر تأثيرهم جليا في التكوين العلمي للونشريسي .

1 - أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني : 768-841 هـ 1368-1450م

اسمه قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني ويكنى بأبي الفضل[2] و أبو العباس ولد ونشا بتلمسان وأخذ عن والده الإمام أبي عثمان سعيد[3] وغيره ودأب على تحصيل العلوم حتى بلغ درجة الاجتهاد ، وصارت له اختيارات خارجة عن المذهب نازعه في ذلك كثير من العلماء من عصره وقد ولي خطة القضاء بتلمسان .[4]

1_العقبانيون : نسبة إلى قرية من قرى الأندلس : انظر إلى يحي بوعزيز أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، دار الغرب الإسلامي ، ج2 ، ط1 ، بيروت ، 1995 ، ص73

2- التنبكتي ، المصدر السابق ، ص ص 365 366 ، ابن مريم ، المصدر السابق ص ، ص 147 150 نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهفي الثقافية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1980م، ص 237 ، السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج6 ، دار الجيل ، بيروت ، ص 187 - مخلوف ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 255 - الخضاوي ، المصدر السابق ، ص 85

3- سعيد بن محمد العقبلني : (720-811 هـ / 1320-1408م) من كبار علماء المالكية تولى قضاء تلمسان 40 سنة كما تولى قضاء الجماعة بمدن أخرى مثل بجاية ، وهران سلا ، مراكش وتولى التدريب بالمدرسة التاشفينية بتلمسان أنظر: يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الود ، الجزائر ،1903م ، ص 60 ، ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تح مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1996م ، ص ص 204 205

4 السخاوي ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 256 وفيه توفي سنة 804هـ ، التنبكتي ، المصر السابق ، ص ص 189 190 - ابن مريم المصدر السابق ، ص ص 106 107 - الحفناوي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 174 175 ، يحي بوعزيز ، مصدر سابق ، ص ص 152 153

في صغره، كما عكف على التدريس فأفاد و أجاد، وكان قد ارتحل سنة 830هـ-1426م إلى الحج و حضر بمصر إملاء الحافظ ابن حجر العسقلاني[1] وأجازه و حضر أيضا درس العلامة البساطي[2] ،عرف الشيخ قاسم العقباني بمؤلفيه و هما"تعليق على ابن الحاجب الفرعي"و"أرجوزة" تتعلق بالصوفية ،إضافة إلى عشرات النوازل في كتاب الدرر المكنونة و المعيار للونشريسي، وقد عاش طويلا و توفي عن سن متقدمة في الرابع و العشرين من ذي القعدة عام 854هـ-1450م بتلمسان و كانت جنازته و الصلاة عليه بالجامع الأعظم و حضرها السلطان و من دونه.

2 - **أبو سالم إبراهيم بن أبي الفصل العقباني التلمساني**(808-880هـ/1405-1475م)

العالم العلامة الفقيه الفاضل حافظ للحديث من فقهاء المالكية من أهل تلمسان و بها نشأ و أخذ عن مشايخها ثم ولي قضاءها أخذ عنه أحمد الونشريسي و أثنى عليه و نقل عنه في كتبه أنه كان هو و أبوه الإمام قاسم يشددان النكير على ابن العربي في تجويزه إرسال الريح في المسجد[3]،و قال فيه

3 - التنبكتي صاحب نيل الابتهاج "حصل و برع و ألف و أفتى و تولى القضاء بعد عزل ابن أخيه العلامة محمد بن أحمد[4].

4 - **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم العقباني**(871هـ/1467م)

الفقيه العالم العلامة التلمساني من أكابر فقهاء المالكية ولد و نشأ بتلمسان و أخذ عن مشايخها من بينهم جده الإمام قاسم.رحل إلى المشرق و حج وعاد ،فولي قضاء الجماعة ببلده،كما أخذ عنه

1- ابن حجر العسقلاني :أحمد بن علي بن محمد الكناني،أبو الفضل،شهاب الدين (773-852هـ/1373-1449م)، من أئمة الفقه و الحديث و التاريخ،أصله من عسقلان (بفلسطين) مولده ووفاته بالقاهرة ،ولع بالأدب و الشعر و أصبح حافظ الإسلام في عصره أنظر: الزركلي ،المصدر السابق ،ج1،ص178 ، السخاوي،المصدر السابق،ج2،ص36

2- البساطي(760-842هـ/1359-1439م):محمد بن أحمد بن عثمان،أبو عبد الله،شمس الدين،فقيه مالكي ولد و توفي بمصر،تولى القضاء بالديار المصرية مدة 30 سنة إلى أن مات أنظر :ا لزركلي، المصدر السابق،ج5،ص332 ، السخاوي:المصدر السابق،ج7،ص05 – ابن العماد،شذرات الذهب ، المصدر السابق ،ج7،ص245

3- التنبكتي ،كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، ج1 ، دراسة و تحقيق: محمد مطيع ، الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ،2000م 3

4- نويهض ،المرجع السابق،ص 237- التنبكتي،المصدر السابق،ص65 ، ابن مريم،المصدر السابق،ص 57- مخلوف،المصدر السابق،ج1،ص265 ، السخاوي ،المصدر السابق،ص117 – يحي بوعزيز، المرجع السابق ،ص156

أبو العباس الونشريسي ، ومن أثاره"تحفة الناظر و غنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المنكر"مات في تلمسان[1].

5 - **محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي التلمساني**(ت871هـ/1467م)[2]

يكنى بأبي عبد الله و صف بالفقيه المحقق،الحجة،المحصل،المتفنن،القدرة،المفتي الصالح،العلامة،المجتهد و لا يعرف تاريخ ميلاده غير أنه ولد و نشأ بتلمسان و لأخذ عن علمائها كابن مرزوق الحفيد و غيره وأخذ عنه جماعة تتلمذوا على يده منهم الرحالة القلصادي الذي وصفه بالمتفنن في العلوم و ذكره ابن غازي في فهرسته ممتدحا سعة علمه،كما أخذ عنه الحافظ التنسي و ابن مرزوق الكفيف و أحمد الونشريسي،اشتغل ابن العباس بالتدريس و الإفتاء و الخطابة بجامع العباد و التأليف ومن تأليفه:"تحقيق المقال و تسهيل المنال في شرح لامية الأفعال"و"العروة الوثقى في تنزيه الأولياء عن فرية الإلقا"و نقل عنه الونشريسي في كتابه المعيار توفي محمد ابن العباس بالطاعون أواخر سنة 871هـ/1467م و دفن بالعباد[3]

6 - **ابن المرزوق الكفيف** (824-901هـ/1421-1486م)

محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني،المعروف بالكفيف:من أعيان فقهاء المالكية من أهل تلمسان وهو ولد ابن مرزوق الحفيد ولد ليلة الثلاثاء منم شهر ذي القعدة عام 824هـ أخذ عن أبي الفضل بن الإمام و قاسم العقباني و عبد الرحمان الثعالبي و غيرهم و أجازه من مصر شيخ الإسلام الحافظ بن حجر العسقلاني قال السخاوي قدم مكة فأخذ عنه في الفقه و أصوله و العربية و المنطق في سنة 861هـ و عاد إلى تلمسان فأخذ عنه جماعة،وذكره

1- التنبكتي،المصدر السابق ،ص547-ص548 – الزركلي،المصدر السابق،ص334-عادل النويهض،المرجع السابق،ص237 السخاوي،المصدر السابق،ج7،ص37 ، رمضان شاوش ،المرجع السابق ،ج2، الجامعية،2011،ص ص 509 510

2- التنبكتي ، المصدر السابق ،ص 547 ، ابن مريم، المصدر السابق ، ص ص 223 224 ، السخاوي،المصدر السابق،ج7،ص278- مخلوف،المصدر السابق،ج 1،ض264 – الزركلي المصدر السابق ،ج 6،ص183- نويهض، المرجع السابق ،ص77 – البغدادي،هدية العارفين، المصدر السابق،ج2،ص205 – رمضان شاوش،المرجع السابق،ج2،ص436

3- جامع العباد:وهو عبارة عن مدرسة في قرية العباد المتواضعة قرر السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني إنشاء مدرسة لها سنة 747هـ-1347م لتكون أول مركز علمي و ثقافي يساهم في الحركة الثقافية بمدينة تلمسان و ذكرها أحسن زقور قائلا:و مدرسة العباد و كانت خارج تلمسان حيث قام بإنشائها السلطان أبو الحسن المريني سنة 748هـ أنظر:صالح بن قرية و آخرون،تاريخ الجزار في العصر الوسيط من خلال المصادر،منشورات

الونشريسي في وفياته فقال أن و سنة وفاته 901هـ ووصفه بالفقيه الحافظ المصقع ووصفه بشيخنا علم الأعلام و حجة الإسلام آخر حفاظ المغرب[1]

7 - **أبو عبد الله محمد بن عيسى المغيلي** (ت 875هـ)

أبو عبد الله محمد ابن احمد بن عيسى المغيلي عرف بالجلاب التلمساني قاضي الجماعة بها الفقيه العالم العلامة احد شيوخ الونشريسي نقل عنه الونشريسي فتواه في نوازله قال الونشريسي عنه الفقيه توفي شيخنا الفقيه المحصل الحافظ الجلاب في سنة 875هـ[2]

8 - **أبو العباس احمد بن محمد بن زكري المناوي**(ت 899هـ/1494م)

أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني عالم و مفتي و الإمام المتفنن الهمام الفروعي الأصولي النظار الشاعر أخذ عن أئمة منهم ابن مرزوق الحفيد و قاسم العقباني و أخذ عنه الشيخ زروق و له منازعات مع الشيخ السنوسي في مسائل من العلم ألف كتاب في مسائل القضاء و الإفتاء و بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب و منظومة كبرى في علم الكلام و له فتاوى منقولة في المعيار[3].

9 - **أبو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله اليفري الفاسي** (835هـ/917هـ-1512م)

قاصي الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد الله اليفري المكناسي الشهير بالقاضي المكناسي من ذرية أبي الحسن الطنجي المعروف بالمكناسي الفقيه العلامة العمدة الفاضل المطلع العارف بالأحكام و النوازل القاضي العادل،أخذ عن أعلام كأبي عبد الله القوري و عيسى بن علال المصمودي،أخذ عنه جماعة منهم أبو العباس الونشريسي ومن تأليفه"محاسن القضاة و الحكام و التنبيه و الإعلام فيما أفتاه المفتون و حكم به القضاة من الأحكام"[4].

1- ابن مريم،المصدر السابق،ص249 - مخلوف،المصدر السابق،ج1،ص268 - التنبكتي،المصدر السابق،ص ص 574 575 ، الحفناوي ،المصدر السابق،ص ص 145 146 ،نويهض،المرجع السابق،ص292

2- التنبكتي،المصدر نفسه،ص290 ، السخاوي ،المصدر السابق،ص664 ، ابن مريم،المصدر السابق ،ص236 ،الحفناوي ،المصدر السابق،ص ص 123 124 ، نويهض، المرجع السابق ،ص76

3 - مخلوف ،المصدر السابق،ج1،ص267 ، ابن مريم ،المصدر السابق،ج1،ص، ص 38 41 ، التنبكتي ،المصدر السابق،ج1،ص ص 129 130

4- نفسه،ص275 ، التنبكتي ،المصدر السابق،ج2،ص270

المبحث الثالث:آثاره

ج- تلاميذه:

نظرا لما بلغه الونشريسي من سعة العلم و علو منزلته،فقد أصبح محط أنظار طلاب العلم،حيث تتلمذ على يده جماعة من العلماء و الفقهاء الذين بلغوا مراتب عليا في التدريس،والقضاء و الإفتاء،وكان لهم دور كبير في نشر مذهب الإمام مالك في المغرب.ولم نشر المصادر و المراجع إلى نوعية العلوم التي كان يدرسها الونشريسي لتلامذته و لعلها العلوم المتعلقة بالفقه وعلوم اللغة ومن أشهر تلامذته ولده عبد الواحد الونشريسي،ومحمد بن محمد الغرديسي التغلبي ، و الحسن بن عثمان التملي الجزولي و عبد الله بن عمر المطغري و غيرهم و الذين سيأتي ذكرهم بالتفصيل.

1 - **ولده عبد الواحد الونشريسي**:(ت 955هـ-1548م[1])

عبد الواحد بن أحمد بن يحي ، أبو محمد ابن الونشريسي ، فقيه من أهل فاس ، جمع بين الإفتاء و القضاء و التدريس ،كان يقال له ابن الونشريسي و ابن الشيخ ، صنف كتبا منها ، "شرح مختصر ابن الحاجب " في الفقه و " النور المقتبس " نظم فيه قواعد المذهب المالكي ، و نظم تلخيص " ابن البنا "في الحساب و له أزجال و موشحات .

أخذ عن أبيه الفقيه الكبير حتى أصبح شيخا قال عنه المنجور في فهرسته :شيخنا الفقيه المحقق المفتي الموثق النحوي الأديب الخطيب الفصيح الناظم الناثر ،كان رائق الإنشاء و الشعر، متقدما في الوثائق و المكتبات بأبدع كلام بلا تكلف ،تولى القضاء ثمانية عشر عاما ثم الإفتاء، ثم نظم كثير في مسائل كشهادة السماع و مفتيات البيع الفاسد و ما يفتيه حوالة السوق و مواضع الإقالة في البيع و غيرها.[2]

وكان الشيخ عبد الواحد يقرأ صحيح البخاري بجامع القرويين بين العشاءين و ينقل عليه كلام ابن حجر في "فتح الباري" و يستوفيه لأنه شرط الحبس ،فقال له ابنه "يا أبت إني قد سمعت أن اللصوص

1- ولد بمدينة فاس،واختلف المؤرخون في تاريخ ولادته،منهم من قال عام880هـ انظر:التنبكتي،المصدر السابق،ص289،الحفناوي،المصدر السابق،ص283 و هناك من يقول ولد سنة 874هـ وهي السنة التي انتقا فيها والده من تلمسان إلى فاس أنظر:الحفناوي،المصدر السابق،ص249

-المنجور،المصدر السابق،ص50 و هناك من يقول أن مولده بعد سنة 880هـ انظر:مخلوف،المصدر السابق،ج1،ص283 الشفشاوي ،المصدر السابق،ص52،ص54

2_المنجور ،المصدر السابق،ص50

أرادا الفتك بك في هذه الليلة فلو تأخرت عن القراءة ،فقال له الشيخ "أين وقفنا البارحة؟ قال"على كتاب القدر؟ قال فكيف نفر من القدر؟ فلما افترق المجلس خرج الشيخ عبد الواحد من باب الشماعين ،فثار به اللصوص فقتلوه بباب المسجد في السابع و العشرين من ذي الحجة سنة خمس وخمسين و تسعمائة [1]

واشتهر عن الفقيه الصالح أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم المدعو بأبي شامة أنه رأى الشيخ عبد الواحد في المنام بعد مقتله فسأله عن حاله فأنشأ يقول:

لقد عمني رضوان ربي و فضله ولم أرى إلا الخير في وحشة القبر

وأني أسأل الإله بفضله ليحفظني يوم الخروج إلى الحشر

وما بعد ذلك من أمور عسيرة تنشر الكتاب و الجواز على الجسر[2]

2 - **محمد بن محمد الغرديسي التغلبي**: (897هـ-1491م)

يكنى بابي عبد الله، كان فقيها و عالما، تقلد منصب القضاء بفاس درس على الونشريسي بفاس،وهو من أسرة مشهورة بالعلم و الثروة و النباهة و الصلاح، وكانت أسرته يتوارثون العلو و الرياسة بفاس أكثر من سبعة قرون و كانت له مكتبة عظيمة احتوت على مجموعة من نفائس الكتب ، في المغرب و الأندلس في تصانيف الفنون،و بالأخص كتب الفقه المالكي بأصنافها المتعددة ، وقد جعلها في متناول يدي شيخه الإمام أبي العباس الونشريسي[3].

3 - **الحسن بن عثمان الجزولي**: (ت932هـ – 1525 م)

كان من الفقهاء و الحافظين و المشاركين في معظم العلوم و كان صاحب جد في العلم و العمل جانبا للراحة كثير السهر و الدرس و التدريب و العبادة و كان إذا غلب عليه النوم يضع رأسه على حجر،ويطول في مجلس تدريسه حتى كان قد يقرأ عليه في المجلس الواحد أربع عشرة دولة و كان حافظا لتوضيح خليل لكثرة ملازمته بالشيخ و التدريس،درس على أئمة منهم الونشريسي و قد

1_السريلاوي،المصدر السابق ،ج5،ص23

2_المنجور،المصدر السابق،ص50

3- نفسه ،ص51 ، الونشريسي، المصدر السابق ، ص ،ص خ و - ابن القاضي، المصدر السابق، ص 249

اشتهر بأنه عالم كبير بضاحية ترودانت ، له فتاوى منها "إباحة ما صيد بالرصاص و خالفه أهل عصره"[1].

4 - **أبو الحسن علي بن هارون المطغري**:(951هـ-1544م)

هو أبو الحسن علي بن هارون الفاسي،أصله من مطغرة تلمسان ولد بفاس حوالي 870هـ و نشأ مقبلا على العلم،كان من فحول العلماء و أكابر الفضلاء،تولى الإفتاء و التدريس بفاس،وانتهت إليه رياسة العلم في وقته،لازم العلامة ابن غازي 29 سنة في البحث و التحقيق و اخذ عنه وعن ابنه وأخذ أيضا عن أبي العباس الونشريسي.

توفي في أخر العشرة الخامسة و حضر لدفنه السلطان أبو العباس احمد بن محمد الوطاسي ، واحتفل الناس بجنازته ونهبوا أعواد نعشه تبركا به و كان شيخ الجماعة في وقته تشد إليه الرحال[2]

5 - **يحي بن مخلوف السوسي أبو زكريا**:(ت927هـ)

يكن بابي زكريا كان أستاذا نحويا و فقيها في مدينة فاس ، اخذ عن الونشريسي و ابن غازي و الفقيه عبد الله بن جلال بن حفاظ توضيح خليل و اخذ عنه عبد الواحد الونشريسي ،وقال المنجور في فهرسته توفي عام سبعة و عشرين وتسعمائة[3].

6 - محمد الكراسي الأندلسي:

أبو عبد الله محمد الكراسي، كان أديبا شاعرا تولى خطة القضاء بمدينة تطوان و نفي على خطته إلى أن مات في حدود أربعة و ستين و هو ابن تسعين سنة ودفن بباب الريفي من مدينة تطوان و لقي مشايخ غرناطة في صغره ولقي مشايخ فاس منهم الونشريسي و ابن غازي و غيرهم[4].

1- المنجور، المصدر السابق ،ص 51 ، ابن القاضي، المصدر السابق ، ص182 ، مخلوف ،المصدر السابق،ص277 وفيه يذكر سنة وفاته في 932هـ

الونشريسي ،الولايات،تح يحي حمزة عبد القادر الوزنة،عالم المعرفة للنشر و التوزيع الجزائر،طبعة خاصة،2011م،ص36

2- التنبكتي،المصدر السابق،ص ص 345 346 ، المنجور المصدر السابق،ص40 ، مخلوف ،المصدر السابق،ص ص 278 279 ، نويهض ،المرجع السابق،ص ص 305 306 ، الشفشاوي ،المصدر السابق،ص51 – الحفناوي،المصدر السابق،ص271

3- نفسه،ص638 – المنجور،المصدر السابق،ص51 – الونشريسي،الولايات،المصدر السابق،ص36

4- الشفشاوي ،المصدر السابق،ص21

7 - **أبو محمد السميع بن محمد الكنفيسي الجزولي المصمودي**:(ت 880هـ/1475م)

كان حافظا للمذهب المالكي متفقها فيه درس على عدد من العلماء بمدينة فاس،أشهرهم ،أبو العباس الونشريسي و الإمام ابن غازي ، ثم عاد إلى بلاد جزولة[1].

8 - **أبو عياد بن فليح اللمطي**:(936هـ/1529م)

قرأ عليه فرعي ابن الحاجب(646هـ-1228م[2]) و لازمه فيه حتى فهمه و تفقهه عليه[3] درس على يد أبي الحسن الونشريسي و غيره و قد أصبح من علماء مدينة فاس البارزين و صاحب ابن الحاجب بفاس[4]

9 - **أبي عبد الله محمد بن عبد الجبار الورتدغيري**: (ت 900هـ/1494م)

وهو الفقيه المحدث الصالح[5] تعلم على يد الشيخ الونشريسي حتى صار مدرسا حيث عمر زاوية أبيه الشهيرة بفكيك،كما درس الفقه و الحديث[6].

1- الحفناوي ،المصدر السابق،ص87 ، الكتاني،المصدر السابق،ج2،ص 154 ، الونشريسي،الولايات،ص37

2- هو أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر يونس المعروف بابن الحاجب المصري أول من ادخل المختصر الفرعي ببجاية و منها انتشر بالمغرب، توفي بالإسكندرية ،أنظر:محمد بن مخلوف ،المصدر السابق،ج1،ص ص 167 168

3- المنجور ،المصدر السابق ،ص ص 150 151

4- الونشريسي ،الولايات،ص39

5- المنجور ،المصدر السابق،ص51

6- الونشريسي ،الولايات،ص39

د- مؤلفاته:

لا شك أن عالما و فقيها مثل الونشريسي ترك إرثا كبيرا من المؤلفات باعتباره ورث مكتبة أبو عبد الله الغرديسي الذي بدوره توارثها عن رجال و بيوتات عرفوا بالعلم،وكانت مجالات هاته التصانيف تتراوح ما بين فتاوى أو ردود على العلماء أو تعليقات على الكتب وهذا ما يتعلق بالمؤلفات التالية و التي يوجد منها ما هو مطبوع و التي لا تزال مخطوطة و هناك ما هو مفقود

1 - **المطبوعة:**

- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس و المغرب:**

أول طبع له على الحجر بفاس سنة 1896م و ترجمت أجزاء منه بدءا من 1908م[1] كما سيأتي ذكره فيما بعد ضمن مطلب خاص في الفصل الثالث.

- **الولايات:**

هو كتاب صغير الحجم تناول فيه الخطط الشرعية في سبع عشرا ولاية ولم يبين الأسباب التي دعته إلى تأليفه غير انه اهتم فيه بولاية القضاء و قد قسمه إلى كتابين هما كتاب الولايات و كتاب الاقضية ،اشتمل الأول على ثمانية عشر قسما،وأطلق على كل قسم اسم ولاية معينة .

أما الكتاب الثاني فقد اشتمل على ستة عشر فصلا،واعتمد الونشريسي في هذا الكتاب على الإحكام السلطانية للماوردي و كتاب الذخيرة للقرافي(ت1008هـ/1599م)،أما بخصوص القضاء فقد اعتمد على لباب الألباب لابن رشد(ت 520هـ-1126م) وكتاب الأحكام للقرافي[2].

1- الونشريسي ،المعيار،المصدر السابق،ج1،ص1

2- الونشريسي ،الولايات،المصدر السابق،ص36

أسنى التاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر ،وما يترتب عليه من العقوبات و الزواجر:

هي على شكل رسالة أدرجها في المعيار[1] أجاب فيها على الفقيه أبو عبد الله محمد بن قطية و قد تناول فيها حكم بقاء المسلمين في أرض الكفر الأندلس و حكم الإقامة في بلاد الكفار عامة.

و كان الفراغ من كتبه يوم الأحد التاسع لذي القعدة الحرام من عام ستة وتسعين و ثمانمائة 896هـ[2].

كتاب إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك:

ذكر المؤلف السبب الذي دفعه إلى تأليفه وهو أن سائلا سأل أن يجمع له ملخصا من الفقه يربط الفروع بأصولها و يكون سهل المأخذ محكم البناء و على الرغم من أن المؤلف استصعب الإيفاء بمثل هذا الطلب في البداية فانه قال قد وفى بما طلب منه على وجه أفضل مما آمل السائل،وقد اشتمل الكتاب على مائة وأربع وعشرين قاعدة اشتملت في مجموعها على ما يزيد على ألف مسألة فقهية مطبقة على تلك القواعد،وقد حقق الكتاب في المغرب على يد أحمد بوطاهر الخطابي،كما حققه محمد الصادق الغرباني.[3]

1- ذكر الونشريسي هذه المسالة في كتابه المعيار في نوازل الجهاد من الصفحة (119الى136) و هي في 27 صفحة

2- الونشريسي ،المعيار، ج1،ص136

3- نفسه، ج1،ص268

الوفيات:

المشهور بوفيات الونشريسي و يحتوي على تراجم علماء ونشريس وغيرها من بلاد المغرب و الأندلس،ذيل به كتاب شرف الطالب في أنسى المطالب لابن القنفد وقد طبع صمن كتاب ألف سنة من الوفيات و يحتوي كما يدل اسمه بتحديد تاريخ وفاة الأعلام للمغرب للقرن الثامن و التاسع هجري ،ابتداء من سنة (701هـ/1301م) وتنتهي عام (912هـ/1506م)[1]

المنهج الفائق و المنهل الرائق و المعنى اللائق بآداب الموثق و أحكام الوثائق:

ذكر فيه جوانب متعلقة بالتوثيق و الوثائق و كيفية تمييزها و ذكره ابن مريم في كتابه فقال:وقفت عليه ولم يكمل[2] و ذكر أبو القاسم سعد الله الكتاب[3]،و أشار إلى اسمه ابن القاضي في كتابه جذوة الاقتباس دون أن يذكر موضوعه[4] و التنبكتي في نيل الابتهاج [5]،و غيرهم وقد طبع على الحجر بفاس سنة(1298هـ/1880م)في 373 صفحة

نظم الدرر المنثورة وضم الأقوال الصحيحة المأثورة،في الرد على من تعقب بعض أقوال جوانبا على نازلة صلح السيفي وابن مدورة:

وهي عبارة عن رسالة صغيرة أدرجها في المعيار و هي من 32 صفحة كتبها سنة 882هـ[6]

فنية المعاصر و التالي في شرح وثائق القاصي أبي عبد الله الفتتالي:

ذكره في المعيار وهو مطبوع على الحجر و ذكره ابن كريم في كتابه[7]

المبدي في خطأ الحميدي:

و هي عبارة عن رسالة رد فيها على عبد الرحمان بن سليمان الحميدي(ت 894هـ/1488م) حول مسألة من مسائل النكاح.

1- صدر ضمن كتاب:ألف سنة من الوفيات:محمد حجي،مطبوعات دار الغرب للتأليف و الترجمةو النشر،الرباط1976

2- ابن مريم ،المصدر السابق،ص54

3- أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي،بيروت لبنان1998م،ط1،ص120

4- ابن القاضي،جذوة الاقتباس،المصدر السابق،ص156

5- التنبكتي،المصدر السابق،ج1،ص136

6- الونشريسي،المعيار المصدر السابق،ج6/ص574

7- ابن مريم، المصدر السابق،ص54

إضاءة الملك و المرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك:

هو عبارة عن جواب رد فيه الونشريسي على الشيخ عبد الرحمان الحميدي بن سليمان الحميدي894هـ/1488م قائلا "...ثم لما لج في ضلاله وتمادى على ردي خلاله،حملني لحاجة،وعدم انقياده للحق و اعوجاجه، أن ألفت في المسألة تأليفا مفيدا جدا أبديت فيه حججا...سميته إضاءة الملك و المرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك".وهو كتاب مختصر،طبع ضمن مجموع على الحجر بفاس.[1]

المخطوط:

- **الأجوبة:**

عبارة عن أزيد من خمسين مسألة وردت على الونشريسي من قبل الفقيه أبي عبد الله محمد القلعي[2] فأجاب عنها،حيث ذكرها ابن مريم "...تسمى بالقلعية و قد انتفع الناس بها...."[3]

- **الأسئلة و الأجوبة:**

مجموعة من الأسئلة و الأجوبة وضعها في كتاب عام 871هـ/1466م بتلمسان و بعث بها إلى أستاذه عبد الله القوري حيث ".....كتبت إلى الشيخ أبي عبد الله القوري[4] رحمه الله، سنة إحدى و سبعين و ثمان مائة و أنا بتلمسان،أساله عن عدة مسائل[5]....."فأجاب به عنها ثم جمعها وأورد في كتابه المعيار.

الفهرسة:

وضعها برسم تلميذه القاضي ابن عبد الجبار الورتدغيري،وهي رسالة ألفها باسمه في حدود 908هـ ذكرها المنجور في فهرسته[6] ووقف عليها صاحب السلوة و نقل منها[7]

1- الونشريسي،المعيار،المصدر السابق،ج8،ص343

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص126

3- ابن مريم،البستان،المصدر السابق،ص271

4- هو محمد بن قاسم بن محمد بن احمد بن محمد القوري،أندلسي الأصل شهر بالقوري شبه لبلدة قريبة من اشبيلية انظر:التنبكتي، المصدر السابق،ص548

5- الونشريسي،المعيار، المصدر السابق،ص574

6- المنجور، المصدر السابق،ص50

7- الكتاب في سلوة الأنفاس ،ج2،ص172

المفقودة:

- **الواعي لمسائل الأذكار و التداعي**:ذكره المؤلف في إيضاح المسالك[1]
- **تعليق على مختصر ابن الحاجب:**

و هو في ثلاثة أسفار قال ابن مريم وقفت على بعضها[2] و ذكره ابن القاضي في الجذوة و التنبكتي.

- **كتاب القواعد في الفقه:** ذكره ابن مريم صغير محرر[3]
- **كتاب حل الريقة عن أسير الصفقة:**
- **كتبا الدرر القلائد،و غرر الدرر و الفوائد**
- **تنبيه الطالب الدارك،على توجيه الصلح المنعقد بين ابن صعد و الحياك:**

وهي رسالة مدرجة في المعيار من ستة عشرا صفحة[4]

- **عدة البروق في جمع ما في المذهب من المجموع و الفروق:**

يتناول مقاصد الشريعة الإسلامية فيه،و يحتوي على عدد ضخم من الفروق التي تبين العلل في اختلاف الأحكام يبين المسائل و هو موضوع قل فيه التصنيف و قال الونشريسي بخصوصه ...يستعان على حل كثير من المنقضات الواقعة في المدونة وغيرها من أمهات الروايات وقد اعتمد فيه الونشريسي على أمهات كتب الفقه المالكي[5]

- **تعليق على كتاب الأعلام القريب النائي في بيان خطأ عمر الجزنائي:**

أورد صاحب أزهار الرياض بعضا منه[6]

- **تنبيه الحاذق الندس على خطأ من سوى بيت القرويين و الأندلس:**

وهو عبارة عن رسالة صغيرة.[7]

1- الونشريسي،المعيار، المصدر السابق،ج1،ص03

2- ابن مريم،البستان، المصدر السابق،ص54

3- ابن مريم،نفسه،ص54

4- الونشريسي،المعيار،ج6، ص ، ص 541 543

5- ابن مريم، المصدر السابق،ص54

6- المقري، ازدهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص04

7- الونشريسي، المصدر السابق/ج1،ص253

ومن خلال كل هذا استطعنا أن نحصل أكبر قدر من التصانيف التي ألفها الونشريسي فمنها ما حقق و منها ما ينتظر،كما ساهم الونشريسي في إثراء مكتبة المغرب الإسلامي بنوعية مؤلفاته التي لا تزال تدرس إلى اليوم،وبذلك حفظ للمذهب المالكي قدرا كبيرا،خاصة في الفترة التي كانت تعيشها المنطقة من ضعف في جوانبها المختلفة

ثناء العلماء عليه:

قال عنه المنجور في فهرسته "الفقه الكبير الحافظ،المحصل النوازلي"و قال عنه أيضا" كان فصيح اللسان و القلم،حتى كان بعض من يحضر تدريسه يقول:لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فيه،أو عبارة نحو هذا"و يقول في موضع آخر"وانتقل إلى فاس سنة أربعة و سبعين من التاسعة،أي من المائة التاسعة و أكب على تدريس المدونة وفرعي ابن الحاجب ،وكثيرا ما كان يدرس بالمسجد المعلق بالشراطين،من فاس القرويين،المجاور لدار الحبس التي كان يسكنها[1]".

وقال عنه صاحب دوحة الناشر:"الشيخ العلامة،المصنف الأبرع،الفقيه الأكمل الأرفع،البحر الزاخر،الكوكب الباهر،حجة المغاربة على أهل الأقاليم وفخرهم الذي لا يجحده جاهل و لا عالم".[2]

وقال عنه صاحب البستان:"العالم العلامة ،حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة"وقال فيه شيخ الجماعة بالمغرب الإمام محمد ابن غازي [3] أمام جلة من الفقهاء حين مر به أحمد الونشريسي الونشريسي يوما بجامع القرويين "لو أن رجلا حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك و أصوله و فروعه،كان بارا في يمينه و لا تطلق عليه زوجته لتبحر أبي العباس و كثرة اطلاعه و حفظه و اتقائه[4]".

1- المنجور، المصدر السابق،ص50

2- الشفشاوي، المصدر السابق،ص47

3- هو الامام العلامة البحر الحافظ ،كان إماما مقرئا صدرا في القراءات ، ولد بمكناسة و أخذ العلم بها و بفاس ، أنظر: التنبكتي ، الصدر السابق ، ص581

4- ابن مريم، المصدر السابق،ص223

كان ميلاد الونشريسي نقطة تحول في الفقه المالكي إذ عرف تطورا هائلا خصوصا بما تركه هذا العالم من مصنفات كان لها الأثر البالغ في إعادة التجديد لهذا المذهب ، فالونشريسي بشيوخه الذين تعلم على أيديهم مبادئ المذهب كالعقباني و إبن مرزوق و الجلاب وبن زكري المانوي وغيرهم هذا أهله ليكون صاحب أكبر مدونة نوازلية ، وهو بذلك حفض لنا المرجعية الفقهية للمنطقة إضافة إلى أن كتابه المعيار يعتبر صورة حية لواقع المجتمع في مختلف نواحيه الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية

إن أثر السلطة السياسية في المغرب الأوسط كان واضحا و ساهم في رحيل الونشريسي إلى فاس ، حيث عجل صراعه مع الزيانيين لأسباب تبقى مجهولة في الغالب إلى المغادرة و تم الترحيب به عند المرينيين في آخر أيامهم وأصبح من أحد الذين يرجعون إليه في مسائلهم ، كما تخرج على يديه علماء كبار كابنه عبد الواحد و ابن الغرديسي التغلبي والذين استطاعوا بدورهم أن يرثوا هذه العلوم و يحافظوا عليها ، أما كتابه المعيار فهو أهم تأليفه ففاق شهرته كل الأفاق ، حيث احتوى على أبواب الفقه المعروفة و لم يترك بابا إلا شمله بصيغة النوازل ، فقيمة الكتاب العلمية كبيرة وهي متجددة في كل عصر وفي كل فن من فنون العلم .

الفصل الثانـي

كتاب المعيار

1_ المعيار و قيمته العلمية

2 _ تعريف النوازل

3_ بعض نوازل الونشريسي (النوازل الخاصة بالجانب الحضاري نموذجا)

إن التطرق لكتاب فقهي مثل المعيار هو بمثابة كشف للتاريخ السياسي و الاجتماعي و الثقافي لمنطقة المغرب الإسلامي و الأندلس ، إذ باعتباره مصدر ضخم جمع مختلف الفتاوى و النوازل عن علماء عصره و سلفه ، إضافة كون الكتاب يعطينا بصورة دقيقة عن وضعية فئات المجتمع و ظروف عيشها داخل بيئة إسلامية ومدى التفاعل الحاصل فيما بينها في جوانب عديدة من الحياة.

المبحث الأول:المعيار و قيمته العلمية

1 /التعريف به:

إن "المعيار " عبارة عن نصوص الفتاوى والأحكام و المسائل التي كتبها علماء من المغرب و الأندلس في الغالب خلال القرون السبعة التي اعتمدها الكاتب وهذا يعني انه يضم نصوص فتاوى أخصب الارتباط التاريخي و الجغرافي والسياسي بين مناطق الغرب الإسلامي[1] و داخل هذه النصوص ، تبرز ظاهرة لغوية مثيرة ، وهي أن بعض الفقهاء و المفتين يوظفون ألفاظا و تعابير محلية مغربية أو أندلسية و إلى قريب من هذا ، نجد في المعيار نصوصا عبارة عن أسئلة و استشكالات كانت تقدم إلى الفقهاء .[2]

و من الظواهر البارزة في المعيار أن الونشريسي حريص على ذكر أسماء المفتين و الفقهاء إلا في حالات نادرة وقد أعلن عن ذلك في مقدمته قائلا:" وصرحت بأسماء المفتين إلا في اليسير النادر " . فيضطر إلى بناء السؤال للمجهول كان يقول: " وسئل فلان عن مسالة أو مسائل تظهر من الجوانب[3] .

أما المفتون في "المعيار" فهم من المتقدمين و المتأخرين ،وقد أشار الونشريسي إلى ذلك في مقدمته :"جمعت فيه من أجوبة المتأخرين العصريين و مقدميهم ما يعسر الوقوف على أكثره في إمكانه ،و استخراجه من مكانه ،لتبدده و تفريقه و انبهام محله و طريقه"[4].

ولا يستطيع الواصف لكتاب "المعيار"أن يغفل عن الدور الذي قام به الفقهاء لترشيد حركة الواقع وفق سنن الشريعة فقد كان هؤلاء يشكلون فئة متميزة في مجتمع الغرب الإسلامي،وكانوا يحظون

1_المقري، أزهار الرياض، ج4، ص262

2_الونشريسي ، المعيار ، ج1 ص1

3_نفسه ، ص1

4_زهور اربوح ، أوضاع المرأة بالمغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي دراسة فقهية اجتماعية ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2013م ، ص30

بمركز اجتماعي شريف ،ويقومون بوظائف جليلة و قد ذكر الونشريسي أن معظم بلاد المصامدة في الغرب لم يكن بها قضاة[1] ،ولذلك جرى العرف أن يقوم الفقهاء و أهل العلم من العدول مقامهم في تنفيذ الحدود و إقامة الأحكام[2].

أما إذا أردنا أن نعرف تاريخ بداية التأليف فنقول إن المصادر التاريخية لم تمدنا بالتاريخ المحدد،لكن تاريخ الانتهاء منه كان قد صرح به الونشريسي بقوله "وكان الفراغ من تقييده مع مزاحمة الأشغال ،وتغير الأحوال ،يوم الأحد الثمن و العشرين من شوال ،عام واحد و تسعمائة"(901هـ/1495م[3]).

أما إذا أردنا أن نعرف أول من قام بإخراج أو نسخ المعيار فنقول احمد المنجور،فهو لما تناول ترجمة السكتاني[4] ذكر انه كان ذاكرا لكثير من النوازل الفقهية،باحثا عنها و عن غيرها فيكتب بيده و يشتري بماله و ما يبرهن على ما قلناه سالفا هو قوله "وقد استنسخ نوازل أبي العباس الونشريسي،وهو أول من أخرجها...."[5]،و بالرجوع لمحمد حاجي نجده في مقدمة الجزء الأول للمعيار يشير أن اثنان من الفقهاء المغربيين هما من نشراه في مجلد واحد،كان احمد بن سعيد المجيلدي الفاسي (1094هـ)[6]،واحد منهما،و ربما هذا يبحث على شيء من التناقض من قول احمد المنجور الى قول محمد حجي.

ثم يذكر حجي ا ناول طبعة لكتاب المعيار كان في فاس سنة 1314هـ/1897م بالمطبعة الحجرية في اثني عشر جزء،بعانية ثمانية من الفقهاء و الخطاطين و المصححين و على رئسهم ابن العباس البوعزاوي الفاسي[7].

1- السلاوي ،المصدر السابق ، ص 211 - الإدريسي ،المصدر السابق ،ص ، ص 57 63

2- الونشريسي ،المعيار ،ج 5، ص155، و ج10، ص،102

3- نفسه،ج12،ص395

4 - أبو الحسن علي بن الحاج أبي بكر السكتاني مفتي مراكش،قتل سنة 964هـ/1556م أنظر:المنجور ،المصدر السابق،ص ، ص 38 40

5- نفسه،ص ، ص 36 38

6- الونشريسي،المعيار ،المصدر السابق،ج1،ص ط

7- نفسه،ص ط

إن كتاب المعيار يمثل نموذجا غنيا من نماذج التراث الإسلامي في مجال النوازل و الأحكام،و صفة النموذج آيلة إلى انه يوفر مادة علمية للدارس التاريخ و علم الاجتماع و اللغة و الاقتصاد في العصور السالفة.

وفي ختام وصفنا لكتاب"المعيار" نشير إلى انه أخر ما ألفه أبو العباس الونشريسي ،فقد جاء في النسخة المطبوعة من الكتاب "...فرغ منه عام واحد وتسعمائة (901هـ/1495م)[1]

إن المعيار عبارة عن نصوص الفتاوى و الأحكام و المسائل التي كتبها علماء من المغرب و الأندلس في الغالب خلال القرون السبعة التي اعتمدها الكاتب و هذا يعني انه يضم نصوص فتاوى أخصب فترات الارتباط التاريخي و الجغرافي و السياسي بين مناطق الغرب الإسلامي[2].

وداخل هذه النصوص،تبرز ظاهرة لغوية مثيرة ،و هي أن بعض الفقهاء و المفتين يوظفون ألفاظا و تعابير محلية مغربية و أندلسية و إلى قريب من هذا ،نجد في المعيار نصوصا عبارة عن أسئلة و استشكالات كانت تقدم إلى الفقهاء[3]

و من الظواهر البارزة في المعيار أن الونشريسي حريص على ذكر أسماء المفتين و الفقهاء إلا في حالات نادرة و قد أعلن عن ذلك في مقدمته قائلا:"وصرحت بأسماء المفتين إلا في اليسير النادر"فيضطر إلى بناء السؤال للمجهول كان يقول :"و سئل فلان عن مسألة أو مسائل تظهر من الجوانب[4]".

أما المفتون في "المعيار"،فهم من المتقدمين و المتأخرين ،وقد أشار الونشريسي إلى ذلك في مقدمته بقوله:"جمعت فيه من أجوبة المتأخرين العصريين و متقدميهم ما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه ، واستخراجه من مكامنه،لتبدده وتفريقه انبهام محله و طريقه[5].

1- الونشريسي المعيار،ج12،ص395

2 - المقري، أزهار الرياض، ج4، ص262

3- الونشريسي،المعيار،ج1،ص1

4 - نفسه،ص1

5- زهور اربوح ، المرجع السابق ، 36

2/أهم ما جاء فيه:

يعد كتاب المعيار أهم كتب الونشريسي و أبرزها على الإطلاق ، وهو أكثر مؤلفاته ذيوعا و شهرة ، و أضخمها مادة وحجما و السبب في ذلك راجع إلى انه اعتمد فيه على مصنفات الفقه المالكي بأنواعها المختلفة سواء منها الأمهات مثل "المدونة"و "الواضحة" و "العتبية"،و المختصرات في الأصول و الفروع و النوازل و الوثائق ، إضافة إلى اعتماده في فتاوى المغرب على كتب النوازل المغاربة التي تيسر له الوصول إليها في خزانة تلميذه الغرديسي بفاس ،و استناده في فتاوى افريقية و تلمسان على نوا زال البرزلي و المازوني[1].

و يضع كتاب المعيار مجموعة ضخمة من النوازل و الفتاوى الفقهية التي تتميز بابتعادها في الجانب النظري ، و تعبيرها الصادق و الواضح في الحياة اليومية للمجتمع بالغرب الإسلامي رجالا و نساءا ، فقد كانت المدن و القرى و الحواضر تعج بالفقهاء و القضاة الذين هرعوا إلى الاجتهاد و استنباط الأحكام لمختلف النوازل الفقهية و القضايا استناد إلى قواعد المذهب المالكي[2].

كان سائدا في المغرب الأقصى مما منح الفقه قوة جديدة أكسبته قدرة على النمو و التطور و الاستجابة المتواصلة لحركة الحياة[3].

حقيقة أن لكتاب المعيار فوائد متعددة في مختلف الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و الثقافية و غيرها، فهو يستوعب بأسلوب مباشر و غير مباشر كثيرا من المعلومات التي تخص مختلف تلك المجالات إضافة إلى الوثائق و النصوص التي قلما ترد في المصادر التاريخية[4].

أما بخصوص منهجه في المعيار فقد قال:..وبعد فهذا كتاب سميته بالمعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس والمغرب ،جمعت فيه أجوبة متأخر يهم العصريين و مقدميهم ما يعسر الوقوف إلى أكثره في أماكنه و استخراجه من مكامنه لتبدده و تفريقه[5].

1- الونشريسي"المعيار"ج1،ص د – الزركلي، المصدر السابق ،ج1،ص،270 – التنبكتي،المصدر السابق ،ص ص 87-88 – مخلوف،المصدر السابق ، ص،275.

2- البرزلي،جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا بالمفتين و الحكام،تح محمد الحبيب الهيلة،دار الغرب الاسلامي ،بيروت،ط2002،2م،ص ص87-88 - أبو زكرياء المغيلي المازوني،الدرر الكنونة في نوازل مازونة،تح بركات إسماعيل،رسالة ماجستير ،جامعة منتوري،قسنطينة،2010م ص 270

3- المازوني نفسه،ص 270

4- زهور اربوح،المرجع السابق ،ص 26

كان الونشريسي يتدخل بالملاحظة و التعديل في العديد من الفتاوى عبر كلمة "قلت" في سطر واحد أو في صفحة من عدة صفحات ،مما مساهمته في المعيار لا تقل في مجملها من مضمون الأجزاء و كان الغرض من المعيار المحافظة على التراث الفقهي لرجال القضاة و الإفتاء ،و التشريع للغرب الإسلامي، وهذا ما أشار إليه الونشريسي في بداية مؤلفه هذا.

و يعد الكتاب قمة ما وصل إليه التأليف في النوازل لأنه اعتمد في مادته على المؤلفات الفقهية الضخمة التي الفت في المغرب الإسلامي و الأندلس طيلة القرون التي أعقبت انتشار المذهب المالكي ، فهو يشمل على ذكر كثير من علماء المذهب و آثارهم ، و بهذا فإن "المعيار" يتم النقص الكبير في المصادر لتاريخ المغرب و بالخصوص الجوانب الاجتماعية ، ما يجعله مصدرا لا غنى عنه للباحث .[1]

جاء في كتاب المعيار كموسوعة لكل مواضيع الفقه،فقد احتوى كل جزء منه على ما يلي:

الجزء الأول: نوازل الطهارة و الصلاة و الجنائز و الزكاة و الصيام و الاعتكاف

الجزء الثاني: نوازل الصيد و الذبائح و الأشربة و الأضحية و الحدود و التعزيرات،

الجزء الثالث:وفيه نوازل النكاح.

الجزء الرابع :في نوازل الخلع و النفقات و الحضانة و اللعان و التمليك و الطلاق و العدة و الإستبراء.

الجزء الخامس: المعاوضات والبيوع.

الجزءالسادس: في مسائل من الرهن و الصلح و الحمالة و الحوالة و المديان و التفليس.

الجزء السابع: فقد خصص لنوازل الاحباس.

الجزء الثامن: لحياة والمرافق و القسمة و الإيجارات .

الجزء التاسع: الضرر و العدية و الهبات و الصدقات و العتق و الوصايا و أحكام المحا جير،و الغصب و الإكراه و الاستحقاق.

الجزء العاشر:نوازل الاقضية والشهادات و الدعاوى و الإيمان والوكالات و الإقرار و المديان .

الجزء الحادي عشر :في مواضع متفرقة تخص الجامع وحكم الروايتين إذا نقلت من مجتهد واحد .

1_ عبد الواحد طه ذنون ، دراسات في حضارة الأندلس و تاريخها ، دار المدار الإسلامي ، بنغازي ، ط1، 2004، ص ص95 96

الجزء الثاني عشر: في مسائل متفرقة مع بيان توتر القرآن و الفرق بين القرآن و القراءات العشر و السبع و التفسير ثم أسئلة حول التصوف و مسائل أخرى[1].

لقد جاءت عدد الأجزاء كثيرة نظرا للكم الهائل من النوازل التي دونها الونشريسي ، مما يبين سعة الإطلاع و شمولية الكتاب كونه تناول على أبواب الفقه من جوانب نوازلي ، وهو بذلك كنز علمي لا يقدر بثمن .

3 /قيمة الكتاب العلمية:

الراجح أن مدونه الونشريسي في فتاوى المغاربة يتضمن أهمية خاصة على كافة المستويات،سيما وقد ألحق بتلك الفتاوى مجموعة من الوثائق ذات القيمة المعتبرة[2]. وهو مجهود لا يقوى على انجازه إلا علماء مجتمعون،لكن الله سبحانه و تعالى يسر للونشريسي فرص إنجازه[3].

وتزداد قيمته مع كل جيل خاصة ما عرفه من التطور في الظهور منشورا و بحلي جديدة وفي الوقت نفسه ظهرت أهمية كبيرة من خلال:

- في سنة 1956م قام محمود علي مكي ببيان أهمية كتب النوازل بمناسبة إخراج كتاب"أحكام السوق"ليحي بن عمر 289هـ/ 901[4]، ممن المعيار.
- إضافة إلى بحوث فنسوت لاغادير و الذي تناول بعض النوازل من المعيار و كتب بيير غيشار مقالا سنة 1990م من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الأندلس خلال القرنين الحادي عشر و الثاني عشر الميلاد بين من خلال فتاوى المعيار[5]

ثم قام إبراهيم حركات ببحث حول الأوضاع الاقتصادية في العهد السعدي حيث تناول فيه النظام الجبائي و الاقتصادي و الحياة الفلاحية و الصناعية و التجارة بتوظيف المعيار كأحد المصادر

1- الونشريسي المعيار،المصدر السابق ،فهرس،ج1،ج2،ج3،ج4،ج5،ج6،ج7،ج8،ج10،9،د11،ج12.

2- الوزير السراج ،الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية" ،تح :الحبيب الهيلة،ج1،ص65.

3- زهور أربوح المرجع السابق ،ص35.

4- يحي بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني 289هـ/902م،من أهل جيان،يعد من فقهاء قرطبة،سكن القيروان،له عدة مؤلفات منها"الرد على الشافعي،واختصار المستخرجة""والميزات" مات بسوسة عن 76 سنة،انظر خير الدين الزركلي ، المصدر السلبق ،ج8،ص160.

5- سعد غراب كتب الفتاوى و قيمتها الاجتماعية"مثال نوازل البرزلي،مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية،مصر،القاهرة،1975م،ص76.

ثم وظفه محمد القبلي في دراسته و هو المساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين مجموعة من فتاوى المعيار و يطرح الباحث كيف وصل السعديون إلى الحكم[1].

إضافة إلى تأكيد الأستاذ ناصر الدين سعيدون على قيمته في أبحاثه المتعلقة بالأوقاف كما اعتمد عليه محمد مزين في دراسته عن فاس و البادية سنة 1979 .[2]

1- أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق،ج1،ص143.

2- ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ص277.

المبحث الثاني:تعريف النوازل

لغة:

النوازل جمع نازلة مشتقة من الفعل نزل.

قال ابن فارس، نزل:النون و الزاي،و اللام كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيء ووقوعه ،وعلى هذا فالنازلة هي الشديدة من شدائد الدهر تنزل.[1]

وقال ابن مشهور:و النازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس تسأل الله العافية.

اصطلاحا:

محمد حجي:الذي قال:"النوازل مسائل و قضايا دينية و دنيوية تحدث للمسلم و يريد أن يعرف حكم الله فيها،وقد أخذ المسلمون بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ،وانقطاع الوحي يلجئون إلى الخلفاء الراشدين ،وعموم الصحابة يسألونهم عن أحكام هذه النوازل فكان هؤلاء يلتمسون لها نصا في كتاب الله أو سنة رسوله ...فإذا وجدوه وقفوا عنده وإلا اجتهدوا[2]...!!عمد الفقهاء إلى أخلاق هذا اللفظ على المسالة الجديدة التي تقع للناس و تتطلب بيانا لحكمها نصا أو دلالة، و يمكن القول أن النوازل مرادفة للفتاوى و يظهر أن مصطلح"النوازل"مصطلح مغربي[3].

استعمله فقهاء الأندلس و إفريقيا و المغرب،ووضعوه عناوين كتبهم التي جمعوا فيها فتاويهم أو وضعها تلامذتهم حين جمعوا إجابات أساتذتهم و شيوخهم إلى المسائل الفقهية المرفوعة إليهم،و المعالجات الشرعية و المستجدات التي كانت تواجههم.[4]

1- ابن منظور:لسان العرب، دار صادر، ج11، بيروت، ص656

2- محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، الجمعية المغربية للتأليف و للترجمة و النشر، مطبعة جديدة، ط1، الدار البيضاء، 1999، ص11

3- احمد السعيدي ،النوازل الفقهية م والعلوم الإنسانية:علم التاريخ مثلا، دورية كان التاريخية، العدد السادس، ديسمبر، 2009، ص17

4- نفسه،ص18

الألفاظ المتصلة بالنوازل:

تتحد الألفاظ التي تعني في مدلولاتها النوازل و هذا ما يتضح من النماذج التالية:

الفتاوى:وهي الأجوبة كما يشكل من المسائل الشرعية و من ذلك :فتوى الشاطبي[1](ت 791هـ/1292م) و البزلي(ت 841[2]هـ)

- **الأجوبة أو الجوابات:**

ويقصد بها أجوبة المفتي عن الأسئلة التي قدمت إليه ليفتي فيها في أمر مشكل ،ومن المؤلفات في ذلك:الأجوبة لأبي الحسن علي بن محمد القابسي (ت 403هـ/1100م)

العمل:وهي ما اتفق آهل بلد ما على العمل به،كعمل أهل فاس ومن ذلك: العمل الفاسي الذي نظمه الشيخ عبد الرحمن الفاسي (ت 1096 هـ/1685م)،في منظومة ضمنها حوالي ثلاثمائة مسالة مما جرى به العمل بفاس ،وقد شرحها ولم يتمها،وشرحها القاضي العميري (1178هـ/1764[3]م)

الأحكام: وهي غالبا ما تتعلق بأبواب الأقضية،والمعاملات المستجدة،ومن ذلك كتاب الأحكام للقاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي(ت497هـ/1104م).

يتميز فقه النوازل بعدة خصائص منها:

-الواقعية : تعتبر الأسئلة الواردة إلى الفقهاء تعبيرا عن الواقع المحلي للمجتمع. وهي تختلف عن الافتراضات النظرية التي طالما شعبت الفقه وضخمته وعقدته.

-المحلية: يهتم فقه النوازل بالقضايا المحلية لمنطقة جغرافية محددة. ويظهر هذا الأمر في غاية الوضوح في أسماء هذه الكتب التي تشير إلى وقائع بلدة ما أو أسماء المستفتين ومن ذلك:

-الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال عمارة لعبد العزيز الزياتي (ت1055هـ)

1- هو محمد بن عبد الرحمن بت يعقوب الخزرجي الأنصاري الشاطبي،وصف بالفقيه القاضي الصدر المتضمن المحصل الجيد،رحل المشرق،وقد ولى قضاء بجاية،التنبكتي،المصدر السابق،ص382

2-البرزلي: هو ابو القاسم بن احمد بن محمد الممتل اليلوي القيرواني ثم التونسي كان إماما علامة بارعا حافظا للفقه متفهما فيه أخذ عن أبي بن عبد الله بن مرزوق وابن الحسن البطروني وأبي عبد الله بن عرفة،انظر التنبكتي ،المصدر نفسه،ص،ص369،368

3- التادلي،هو سعيد بن أبي القاسم العميري الجابري قاض من قضاة المغرب،له اشتغال بالتاريخ،ولد بفاس القروين وانتقل به واله إلى مكناسة الزيتون فتقدم فيها إلى أن ولي قضائها ،وتوفي بها،انظر الزركلي،المصدر السابق ،ج3،ص99

-الدرر المكنونة في نوازل مازونة، لأبي زكريا المازوني (ت 883هـ/1478م[1]).

-النوازل بجبال عمارة لعبد العزيز الزياتي(ت1055هـ/1545م)

-**التجديد**:تتميز النوازل بهذه الخاصية لأنها يساير التطور الحاصل في مناحي الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الفكرية.

-**تنوع التأليف**:تختلف كتب النوازل فيما بينها شكلا و مضمونا فمن حيث الشكل نجد بعضها من تأليف الفقيه الذي كتب الفتاوى و بعضه تركه المفتي مشتتا في أوراق أو مجموعة كراريس جمعها في حياته أو جمعت بعد وفاته.

1- أخذ عن الأئمة كابن مرزوق الحفيد و قاسم العقباني ،و ابن زاغو و ابن العباس ألف نوازله المشهورة المقيدة في فتاوى المتأخرين آهل تونس و بجاية و الجزائر و تلمسان و غيرهم في سفرين انظر: التنبكتي :المصدر السابق،ص637

المبحث الثالث: بعض نوازل الونشريسي (النوازل الخاصة بالجانب الحضاري نموذجا)

الحياة الاجتماعية:

إذا أردنا معرفة طبيعة الحياة الاجتماعية التي ميزت المغرب الأوسط يجب علينا الرجوع بلا شك إلى الونشريسي خاصة كأهم مصدر يظهر لنا أحوال المجتمع عن طريق النوازل،و هو ما سنحاول التطرق إليه و لو بإيجاز و لذلك عمدنا إلى شرح حال المجتمع من خلال بعض نوازل الونشريسي وليس كلها،آملين أن نتمكن من إعطاء صورة واضحة عن مجتمع المغرب الوسيط.

نجد أن الونشريسي تطرق ضمن نوازله و فتواه لبعض الفئات و الطوائف الاجتماعية في المغرب الإسلامي ومن خلالها نستدل على الدور الذي كانت تقوم به في الحياة اليومية ومن أهمها الفقهاء الذين كانوا يشكلون طبقة متميزة في المجتمع المغربي عبر كل المراحل يحظون بالمغرب الوسيط بمركز اجتماعي مرموق ،وكان معظمهم ينعم بالثراء واحترام الناس فقد ذكر الونشريسي أن معظم بلاد المصامدة[1] في المغرب لم يكن بها قضاة ولذلك جرى العرف أن يقوم الفقهاء العدول للنظر في أمور الأيتام و الغائبين التي طالت غيبتهم[2] و يذكر الونشريسي بعض نوازله عن الفقهاء ضعاف النفوس ممن كانوا يسعون إلى طلب المال دون اعتبار لما تفرضه الشريعة فمنهم من كان يقبل ما يدسه له العامة من بذل و رشوات مقابل فتواهم مثل ما جاء في هذه الفتوى"برجعة المطلقة ثلاثا في كلمة واحدة" و يضيف بان هؤلاء الفقهاء كانوا يفتون بما ليس لهم به علم،وهذا يعتبر جرحة،ولا تجوز شهادتهم[3].

ويمدنا الونشريسي بإشارات قيمة عن أهل الذمة و أوضاعهم في المجتمع المغربي،فيتضح من نوازله و فتاوى المعيار كثرة أعداد اليهود في المغرب،و أنهم كانوا ينعمون بتسامح تام و مودة من جانب جيرانهم المسلمين[4]،و تشير إحدى النوازل أن سئل القابسي عن رجل سكن بجواره يهودي قد ربي معمم ،فربما جاءوه في حاجة،أتراه من هذا في حرج أم لا[5] .

1- كمال مصطفى ،المرجع لسابق،ص34
2- الونشريسي،المصدر السابق،ج5،ص154،ص155، ج10،ص102
3- نفسه،ج5،ص120،ص121
4- كمال مصطفى،المرجع السابق،ص36
5- نفسه،ج11،ص300

فأجاب إن كنت تسال لنفسك فلا تخالط من على خلاف دينك،فهو أسلم لك وأما جارك من أهل الذمة فلا حرج في مساعدته و حتى في الكلام إليه،وأن لا يكون في لين و حتى إن ألقى السلام فيكون الرد بعليكم[1] ومن بين المظاهر الاجتماعية التي ذكرها الونشريسي في كتابه المعيار من خلال نوازل النكاح المتعلقة بالأسرة في المجتمع المغربي في العصر الإسلامي الزواج الذي تختلف فيه العادات المغربية و يفيدنا الونشريسي بان الخاطبة كانت تقوم بدور هام في إتمام الخطوبة و عقد الزيجات.

وبعد انتهاء فترة الخطوبة يتم عقد القران في أحد الجوامع أو المساجد على يد القاضي او صاحب الأنكحة[2].

أما فيما يخص الطعام فقد أشار إليه الونشريسي و قدم لنا جواب من المنظور الفقهي ،فذبائح اليهود إذا وقع فيها شيء ينافي الشرع فيجب منعهم من البيع في أسواق المسلمين و إلى الآن جاءت الفتوى تجيب على ذبائح أهل الذمة اليهود،وما يهمنا هنا هو دراسة المسالة من بعدها التاريخي و الذي يتركنا نستخلص من هذه النازلة أن تجارة اللحوم في المغرب الإسلامي و الأوسط خاصة كانت بيد اليهود [3]و نستنتج أيضا أن اللحوم كانت من ضمن طعامهم.

وعند وقوعنا على إشارة أو ردها صاحب المعيار تسجل أن بعض باعة السمك كانوا يعمدون إلى خلط كبيرة بصغيرة فيضعون الأسماك الكبيرة في الأعلى و الصغيرة في الأسفل استغفالا للزبون الذي ما عن يكتشف العيب حتى يطالب بإلغاء البيع[4] وتوضح هذه النازلة إقبال المغاربة على تناول السمك[5].

و أما بالنسبة للباس الذي بدوره يعبر عن ثقافة معينة لمجتمع ما و كذلك من خلاله نستطيع أن نميز بين فئة و أخرى وقد تحدث الونشريسي عن بعض أزياء أهل المغرب في العصر الإسلامي فذكر من ملابس الرجال:الجبة الملفو الدراعة و السروال و الغفارة و المحشو، ومن ثيابهم ثوب رومي كان

1- الونشريسي،المصدر السابق،ج11،ص301

2- الونشريسي،نفسه،ج3،ص97 – كمال مصطفى،المرجع السابقنص13

3- الونشريسي،نفسه،ج2،ص29

4- الونشريسي،نفسه،ج6،ص176

5- الطاهر قدوري، السمك و التغذية في المغرب الوسيط، دورية كان التاريخية العدد العاشر، ديسمبر،2010، ص61

يلبس في الشتاء ليقي البرد يسمى"الدرندين" ويصفه بأنه لباس مقتصد لا إسراف فيه،،ينتفع به في الوقاية من برد الشتاء القارس[1]

أما زي النساء في المغرب،فقد أشارت النوازل إلى ثياب الحرير و الكتان و القطيفة و الملحفة القطن التي تلبس في الشتاء للوقاية من البرد ،بالإضافة إلى الحلي التي تتزين بها النساء و التي تمثلت في خلاخل فضة،وأقراص ذهب وعقد من الجوهر[2].

و يشير أيضا الونشريسي إلى زي أهل الذمة في المغرب الإسلامي و الذي اخذ حيزا مهما على المستوى السياسي و أدى لتساؤلات عديدة ، و الذي عرضهم للعقوبة [3]كان تشبههم بالمسلمين و عدم التزامهم بلبس الغيار.

إذن هذه دلالة واضحة على النفوذ السياسي الذي تمتعت به طائفة اليهود في تلك الفترة و هناك شاهد قوي على انفلات الأوضاع في قضية الملبس،حيث يخبرنا المقري أن أهل الأندلس من النصارى أو اليهود وخاصة المسلمين لم يعودوا يضعون العمائم و أكثرهم يمشون دون ....ما عاد الأشياخ المعتمون،أما اليهود غالبا ما يرتدون غفائر صفر[4].

و من بين المظاهر الاجتماعية الشائعة في المغرب الأعياد و الاحتفالات منها ما هو إحياء لمناسبات عامة يحتفل بها الناس جميعا، ومنها ما يرتبط بشعائر دينية أو منسبات اجتماعية، و عليه كانت الاحتفالات لا تنقطع في الأسرة المسلمة، سواء زواج أو ولادة أو ختان.

و قد تنوعت الاحتفالات التي كانت تقام في المدن منها دينية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[5] الشريف[5] فيتم إيقاد الشموع و التزين و تقوم الأسرة بتحضير مختلف الأطعمة وإعطائها للجيران سواء كانوا مسلمين أو يهود أو نصارى، وكذلك جرت العادة عند المعلمين على إيقاد الشمع في الكتاتيب،والاجتماع مع صبيانهم للصلاة على النبي،وتلاوة ما تيسر من القرآن،وإنشاد بعض القصائد

1- الونشريسي ،المصدر السابق،ج10،ص258،ج11،ص27،ص28، - كمال مصطفى،المرجع السابق،ص48

2- الونشريسي،نفسه،ج3،ص100،ص249،ص406

3- الونشريسي،نفسه،ج2،ص254

4- المقري،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر ، بيروت ،ج1،ص223

5- أول من نقل الاحتفال بالمولد من المشرق الى المغرب أبو العباس أحمد العربي أماأول السلاطين احتفل به السلطان يعقوب المريني ثم اتخذ شكله الرسمي و صيغته العامة عهد السلطان يوسف إذ أمر بعمل المولد و تعظيمه و الاحتفال به في جميع البلاد سنة 691هـ/1292م و كان ذلك بإشارة من الفقيه أبو طالب عبد الله بن القاسم العربي،أنظر:نضال مؤيد،المرجع السابق،ص94

في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم،و يضيف الونشريسي أن الرجال و النساء اعتادوا الاجتماع في تلك المناسبة و هو ما أنكره الفقهاء،و اعتبروه "من محدثات البدع التي تجب قطعها[1]...".

ويذكر الونشريسي أن أهل المغرب اهتموا أيضا بالاحتفال بميلاد أطفالهم فكانوا يعدون العقيقة،كذلك كان أهل المغرب يحتفلون بختان الطفل فيقيمون مأدبة،يدعى إليها الأهل و الأقارب[2].

كما قدم لنا المعيار نازلة بخصوص الاحتفال بالأعياد مع أهل الذمة حيث سئل أبو الأصبغ محمد التميلي عن ليلة ينير والتي يسميها الناس الميلاد و يتهادون فيما بينهم صنوف الأطعمة و التحف لوجه الصلة أهو بدعة أم مكروه[3]؟ إن بعض النوازل ترى أن الصورة التي توضح تعايش المسلمين مع أهل الذمة في مكان واحد و طريقة التعامل معهم .

الجانب الاقتصادي:

التعاملات الاقتصادية

طرحت في كتاب "المعيار" عدة قضايا تخص المعاملات الاقتصادية و التي جسدت حضورا هاما و متنوعات لأهل الديانات الأخرى من الأقليات لقول الله تعالى:"ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم و أصفح إن الله يحب المحسنين[4] ومن أهم النوازل في هذا المجال قضايا البيوع فقد أورد الونشريسي سؤالا يتعلق بحكم مبايعة أهل الكتاب فيها بحور تملكه أم لا[5] و اقتصرت الإجابة على دراهمهم فمباعة لنا و الطعام و نحوه بخلاف المصحف و الخيل وما فيه مضرة للمسلمين وكذلك لا يجوز أخذهم الدراهم التي فيها اسم الله.

ومن القضايا المطروحة في نفس المجال نازلة أخرى سئل عنها أبي الفخار تتعلق بنصراني باع فرسا موسومة بسمة الحبس من المسلم، وكانت إجابة المفتي:"....أن ينقض البيع لأنه مكروه أن يتاجروا....وقال لو أمضي البيع لكان ذريعة لبيع الخيل المحبسة[6]".

1- الونشريسي،المعيار،ج11،ص278،- كمال مصطفى،المرجع الأسبق،ص44

2- الونشريسي،نفسه،ج6،ص146

3- الونشريسي،نفسه،ج11،ص151

4 - "صورة المائدة الاية13

5- الونشريسي ،المعيار،نفسه،ج5،ص103

6- نفسه،ج7،ض218

ومن الجوانب الممنوعة على النصارى في البيوع بيعهم الخبز و الزيت و الخل و غيرها من الممنوعات و المحرمات عليها و كذلك غسل ثياب الناس،كما لا يجوز تعامل المسلمين مع النصراني الذي يبيع الخمور، حتى وان كان في هذا البيع فائدة أو غاية كما صرح بذلك الشاطبي[1].

لم يكن الفقهاء ليغفلوا عن الفتوى التي تنبه المسلمين و تحذرهم من طرق تعاملهم مع المسحيين حيث تجده يحرم بيع ما يمكن أن يكون في فائدة الكفار على حساب المسلمين[2].

نظرا للحقيقة التاريخية السائدة بخصوص تولي الأقليات الدينية المناصب في الدولة الإسلامية ،فقد طرح "المعيار" مسألة تولية يهودي الصرف ببيت مال المسلمين ليزن الدراهم المقبوضة و المصروفة وينقدها و في هذا يقدم لنا "الحسن الوزان" مثالا عن ضرب النقود عند اليهود و اقتصار هذه المحنة عليهم حيث يتحدث عن يهود تدنست* جنوب المغرب قائلا،وأكثرية السكان من اليهود و هؤلاء هم الذين دارسك العملة و يضربون لسكان المدينة قطع نقود فضية[3].

تحصيل الضرائب:

اختصت الأقليات الدينية في كثير من الأحيان بتحصيل الضرائب في بلاد المغرب،فقد وكل النصارى مهمة جباية الضرائب و استخلاصها من الرعايا كما أوكلت هذه المهمة لليهود أيام الدولة المرابطية و هو أثار استياء المسلمين من هذا،و يفسر هذا الموقف بتشبث المرابطين في الحصول على الضرائب بالقوة،لذلك استخدموه تفاديا لرفق المسلمين بأهل ملتهم[4].

قضايا الاحباس:

1- نفسه،ج5،ص213

2- الونشريسي،"المعيار"،ج12،ص376.

*- تدنست:مدينة في حاحا،قديمة بناها الأفارقة في سهل على جانب كبير من الرونق و الجمال وفيها مائة منزل لليهود لا يؤدون الجزية لكن يقدمون عادة هدايا للأعيان الذين يحموهم:الحسن الوزان:وصف إفريقيا،تر محمد حجي محمد الأخضر ،دار الغرب الإسلامي بيروت،ط1983،2،ج1،ص99

3- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص307

4- الونشريسي،المعيار،ج6،ص318.

شكلت قضايا الاحباس موضوعا أخر لحضور الأقليات الدينية في فتاوى "المعيار" و من ذلك نجد ما ذكره الونشريسي حول أحباس أهل الذمة[1] التي لا حرمة لها،فإذا كان محبسها حيا و أراد الرجوع فيها لا يعرض له.

وان كانت هذه الاحباس قديمة و هي بأيدي أهل الذمة وقوله تعالى"لا يرقبون في مؤمن إلا و لا ذمة و أولائك هم المعتدون"[2].

لم يتعرضوا فيها،وإذا كان الناضر للمسلمين قدر أي مسألتك عند إجلاء أهل الذمة المجلين عنها من مسجد يقيمون فيه صلاتهم و للإمام بناؤه لهم فأولى أن يجعل ذلك من هذه الكنيسة و يحولها مسجدا[3].

ولقد شكلت الاحباس شكلا أخر من أشكال الوجود اللافت للأقليات في المجتمع الإسلامي،إضافة إلى مختلف القضايا التي أثيرت حولها،مثل:التحبيس و البيع و ذلك إقرار آخر لصدى حريتهم في تقرير الحالة الخاصة بأملاكهم[4].

إن تتبع الحضور اليومي للأهل الذمة في مجتمع المغرب الإسلامي يقدم صورة غنية عن مدى التعايش مع المسلمين في سائر المجالات الاقتصادية و الاجتماعية، وهذا ما أنتج العديد من الأسئلة التي أجاب عنها الفقهاء[5].

الجانب الديني:

عالج "المعيار" عدة قضايا تتعلق بالجدل الديني الذي تمثل في مواضيع التعرض للديانات السماوية و بعض المناظرات في هذا الجانب ومن ذلك مسألة الصلاة في ثواب الملف الذي نسجه النصارى

1- أهل الذمة :هم أهل الكتاب وهم النصارى و اليهود ومن اتخذ كتابا سماويا و السامرة و يلحق بأهل الذمة المجوس وقد أورد ابن القيم الجوزية أن الرسول صلى الله عليه و سلم صالح أهل نجران على ألفي حلة من حلل الأواني، انظر : ابن القيم الجوزية:أحكام أهل الذمة ،تح،طه عبد الرءوف سعد،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2 ، 2002م،ص136

2- التوبة الآية 10

3- شرقي نوارة:الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،قسم التاريخ،2008،ص68

4- الونشريسي،المعيار،ج7،ص73

5- نفسه،ج8،ص ص 56،57

قبل غسله وقيل أنهم يجعلون فيه شحم الخنزير، و أجاب الفقيه أحمد القباب (779هـ/1377م)[1] باستحالة الصلاة في هذا الثوب.

و من القضايا المطروحة أيضا مسألة سب النبي صلى الله عليه و سلم من طرف نصراني تم إسلامه فيما بعد، وكان الجواب على السؤال أن لا شيء عليه.

وكان التعرض للرسول صلى الله عليه و سلم من زوايا عديدة من أهل الذمة ومن ذلك "قول بعض النصارى أن عيسى خلق محمد" وكانت الإجابة تستوجب القتل إلا أن يسلم فيسقط عنه[2].

ومن القضايا المتعلقة بإهانة المسلمين ما رفع إلى الإمام أبو الفضل قاسم العقباني عن حالة يهودي ساحر بقلعة هوارة"..ورد علينا يهودي فاشتغل بأعمال أمثاله اليهود ثم اشتهر أمره انه شاعر و ساحر و مهين للمسلمين،وأظهر الكبرياء و صار يمشي بين المسلمين مشية المتجبرين و المتكبرين،وانتهى أمره إلى سب المسلمين بأن لا أصل لهم و لا نسب[3]..".

لم تكثر نوازل المعيار في موضوع العبادات،ولعل ذلك راجع إلى معرفة معظم نساء الغرب الإسلامي بشعائر دينهن،أو إلى وعي إبائهن و أزواجهن بوجوب تعليمهن شؤون دينهن.

وبالرغم من نوازل المعيار في موضوع العبادات قليلة جدا،إلا أنها تلقي الضوء على بعض الجوانب الحساسة في حياة المرأة المسلمة[4]. و تبرز كيف أن رعاية شأن المرأة محتاج إلى متابعة دائمة مخاضة أن تركن إلى الغفلة،دون أن تغفل الإشارة إلى المستوى الرفيع الذي بلغته ،بإقدامها على إخراج الزكاة و إكثارها من الصدقات و ذلك كله دليل على تفاعلها مع نداء القرآن الكريم و دعوته إلى التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة الإسلامية[5].

لقد انسجمت هذه الفتوى مع الأصل المعتبر في الدين وهو أن باب الصدقة والإنفاق مفتوح،غير أن النازلة تفرض الانتباه إلى أمرين اثنين أولهما:المحافظة على روح الود و التأليف بين الأبناء فلا يجوز

1- هو احمد بن قاسم بن عبدالرحمان الجدامي،يعرف بالقياب..امام فقيه نبيه جيد النظر سديد الفهم،ولي الفتيا بمدينة فاس ،وله نوازل مشهورة و ولي القضاء بجبل الفتح فوصف فيه بالجزالة،توفي بفاس سنة779هـ ينظر التنبكتي،نيل الابتهاج،المصدر السابق،ص102

2- الونشريسي ،نفس المصدر،ج2،ص351

3- نفسه،ص399

4- زهور اربوح ،المرجع السابق،ص47

5- الونشريسي ،المعيار،ج1،ص164

في هذا الحال أن يؤثر أحدهم على الآخرين،و ثانيهما:تجنيب المرأة المتصدقة السقوط في براثين الحاجة و الفقر،فيكون سلوكها في الصدقة غير محمود[1].

و للدارس أن يشتق روح التكافل في هذه النازلة وعمق الإيمان بقيمة الصدقة و دورها،إلى درجة أن المرأة تقرر أنفاق جميع غزلها دون أن تراعي العنت في ذلك،ولعل هذه النازلة تتصل بجل متين بالنموذج الذي وصفه القرآن الكريم بقوله:"ويؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة،ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"[2]

ومن المناظرات التي قيدها"المعيار" تلك المناظرة الكلامية التي دارت بين الفقيه ابن لب (782هـ/1380م[3])و يهودي في مسائل تخص القضاء و القدر حيث يورد الونشريسي "...كتب بعض ملاعين اليهود إلى الأستاذ الإمام الأوحد مفتي البلاد الأندلسية أعاد الله إليها الإسلام بحرمة النبي عليه السلام أبي سعيد فرج بن احمد بن لب رحمه الله بهذه الأبيات:

أيا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوه بأوضح الحجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه جبلتي
قضى بضلالي ثم قال أرض بالقضا فهل أنا راض بالذي فيه شقوتي
دعاني وسد الباب دوني فهل إلى دخولي سبيل بينوا لي قضيتي؟
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة فهل أنا عاص بإتباع المشيئة؟
وهل بي اختيار إن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين علي[4].

ناقش ابن لب ما جاء في أبيات اليهودي من احتجاج بالقدر على المعصية، وما يترتب عن ذلك من إنكار للعقيدة الإسلامية معتمدا على القران و السنة[5].

1- الونشريسي،المعيار، ج2،ص79
2- سورة الحشر الآية 09
3- هو فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الأندلسي الغرناطي،عقد للتدريس ببلده على وفور الشيوخ و ولي خطابة الجامع،معظما عند الناس،توفي في ذي الحجة متم عام اثنين و ثمانين،انظر ترجمته:التنبكتي:المصدر السابق،ص ص358،357
4- الونشريسي،المعيار، ج11، ص ص،205 ،266
5- الونشريسي،المصدر نفسه،ص 267

يبقى المعيار للونشريسي من بين أهم النصوص و المؤلفات في النوازل حيث حفظ لنا تاريخ المنطقة الفقهي و الاجتماعي على شكل نوازل لا زالت تحتاج من الباحث التمعن إعادة قراءة خاصة لفترات متعددة من العصور،ولعل هذا يساعدنا في إعطاء الصورة الحقيقية للمجتمع المسلم في المغرب الإسلامي.

لقد احتوى كتاب المعيار على مجموعة من النوازل الخاصة بالمجتمع في المغرب الإسلامي في مختلف الجوانب،فرأينا الفيئات في المجتمع و أيضا طبيعة الطعام الخاص و كيف كان اللحم المصدر الأساسي للطعام في المنطقة،وأما في طريقة المليس فلم يكن أفراد المجتمع يختلفون فيه سواء المسلمين أو أهل الذمة كما لا تخلوا الحياة الاجتماعية من الاحتفالات و المناسبات الدينية التي تشارك فيها أفراد المجتمع باختلاف أديانهم مما عكس روح التسامح و الاندماج التام لفئات المجتمع.

ولو تحدثنا عن الحياة الاقتصادية سنقول أن هناك عدة قضايا تخص المعاملات الاقتصادية و التي جسدت حضورا هاما و متنوعا لأهل الديانات فقد إهتدينا بعض النوازل عن حالة أهل الذمة في المجتمع و هذا لاحتلالهم مرتبة مرموقة كفئة التجار و أمناء المال،مما خلق نوعا من تحكم نفوذهم داخل السلطة.

أما بالنسبة إلى الجانب الديني فقد عالج المعيار عدة قضايا تتعلق بالجدل الديني في مواضيع التعرض للديانات السماوية فالونشريسي في نوازله لم يحفظ لنا نوازلا تتحدث عن تطبيق السلطة على أهل الذمة في ممارستهم الدينية.

كما تطرق الونشريسي من خلال نوازله إلى كيفية التعامل مع المرأة داخل المجتمع و ذلك بتعليمها شؤون دينها.

الخـاتمة

بعد رحلة الجمع و الوصف و التحليل و الدراسة ،يمكن الإشارة إلى إن هذه الدراسة قدمت معطيات متصلة بمختلف الجوانب التي يكون لها علاقة بشخصية العلم الفذ الذي شهد له خيرة العلماء بالفقه والنباهة والموسوعية إذ يعتبر من النماذج الفريدة التي أنتجتها منطقة المغرب الأوسط ونقطة تحول في الفقه المالكي أبو العباس احمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي الذي ذاع صيته في النصف الثاني للقرن التاسع هجري وبداية القرن العاشر هجري .و هذا يدل على الأوضاع العلمية وطبيعة المجتمع الذي كان يقدس كل ما هو ديني ويصهر على تخريج نخب علمية ولعل الحواضر العلمية كانت شاهدة على ذلك كتلمسان،و مازونة و بجاية وهذا ساعد على التقدم الفكري في المنطقة.

كما شهد عصره تجذبات سياسية كبيرة خاصة الفتن التي وقعت داخل البيت الزياني و التي عجلت برحيله نحو المغرب الأقصى،و أفرزت لنا مجموعة من الإشكاليات لا زالت تحتاج إلى البحث السبب الحقيقي الذي جعل الونشريسي يدخل في صراع مع السلطة الزيانية و تخريب الأخيرة لبيته ما عجل برحيله؟مما يعكس لنا السلطة بالدين ، فهو بين لنا علاقة الفقيه بالسلطة فهو وجه من وجوه التراث السياسي العربي الذي نفتخر به في وقتنا الحالي ،باعتبار أن الإسلام فكر شامل و كلي و فلسفة للحكم و الحياة.

وقد اقتضى ذلك الحديث عن كتابه "المعيار" و ابرز قضاياه و موضوعاته و قيمته الفقهية و العلمية و التاريخية و الاجتماعية و كأكبر مدونة مالكية بامتياز ساهمت بشكل كبير في حفظ التراث و المرجعية المالكية في المغرب الإسلامي.ولا يمكن أن تفقد قيمتها مع الوقت خاصة في ضل تعدد الفنون التي يمكن أن تساعد الباحثين في الاعتماد عليها كالتاريخ،و بذلك يمكن تصنيفها ضمن الأرشيف الفقهي الذي يكتسب أهميته منع الوقت لمعرفة ماضي المغرب الأوسط و قراءة الأبعاد الحضارية التي كانت تكونه في مختلف جوانب الحياة سواء الاجتماعية آو السياسية أو الاقتصادية التي ضلت تؤرق كاهل الإنسان من اجل نظام يقدم مصالح البلاد و متطلبات العباد.

هذا كله يؤكد لنا خصوصية الونشريسي التي يميز بها و التي تكمن في وعيه بمسالة الدين الشرعية و على سعيه المتواصل لإيجاد حلول للمشكلات و النوازل و القضايا التي أفرزتها روح العصر مستمدا ذلك من الكتاب و السنة.

وأخيرا نقول أن الونشريسي واعي بكل شفافية و قدم لنا البذور الأولية التي تمهد شخصيته

الملاحق

ملـــحق رقم : 01

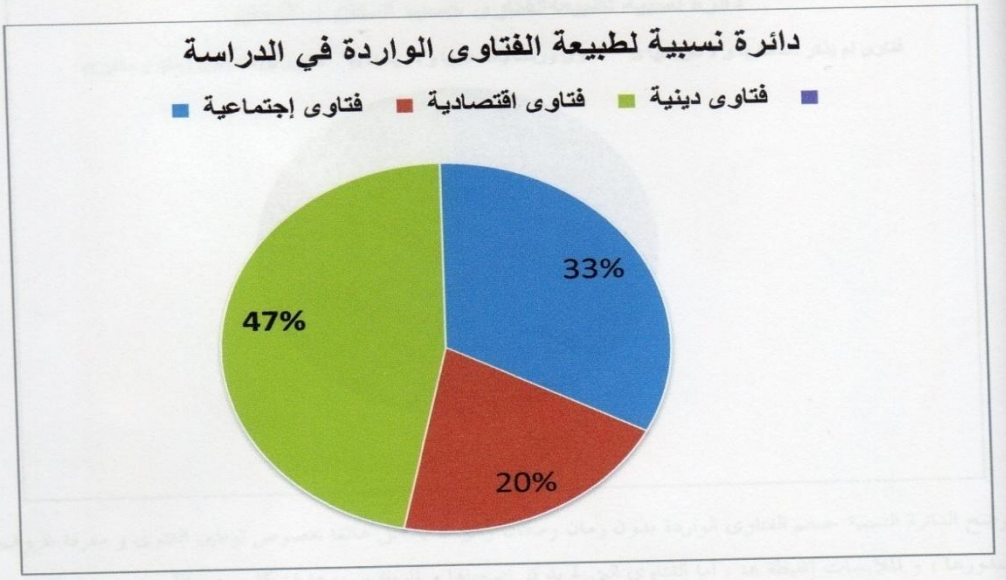

يتضح من خلال الدائرة النسبية أن نسبة الفتاوى كانت متقاربة رغم أن الفتاوى الاقتصادية كانت أقل ، أما فتاوى الجانب الاجتماعي و الديني فتعبر بوضوح عن حجم التواصل بين الأقليات الدينية داخل المجتمع الإسلامي بما يعكس شيوع روح التسامح

فتاوى إجتماعية	24
فتاوى اقتصادية	15
فتاوى دينية	34
المجموع	73

جدول لطبيعة الفتاوى المتعلقة بالأقليات الدينية

المرجع : سعيداني لخضر ، المرجع السابق ، ص 100

ملـــحق رقم : 02

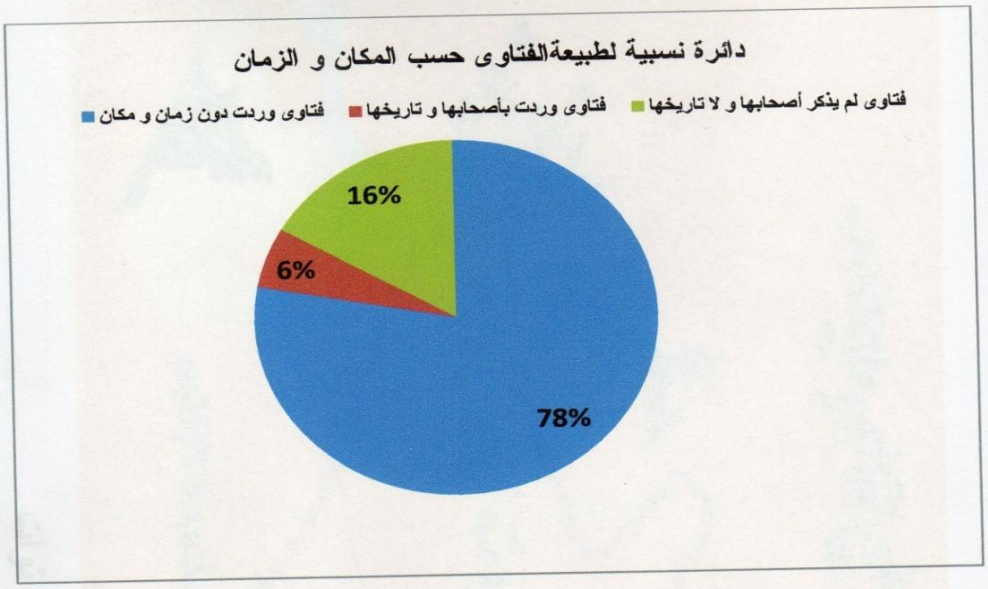

توضح الدائرة النسبية حجم الفتاوى الواردة بدون زمان ومكان وهو ما يشكل عائقا بخصوص توطين الفتوى و معرفة ظروف صدورها ، و الملابسات المحيطة بها ، أما الفتاوى التي لم يذكر أصحابها و تاريخ ورودها فشكلت هي الأخرى نصيبا وافرا من مجموع الفتاوى الواردة في الدراسة .

فتاوى وردت دون زمان و مكان	57	78%
فتاوى وردت بأصحابها و تاريخها	4	5%
فتاوى لم يذكر أصحابها و لا تاريخها	12	16%
المجموع	73	100%

جدول لطبيعة ورود الفتاوى في المعيار

المرجع : سعيداني لخضر ، المرجع السابق ، ص 101

ملحق رقم : 02

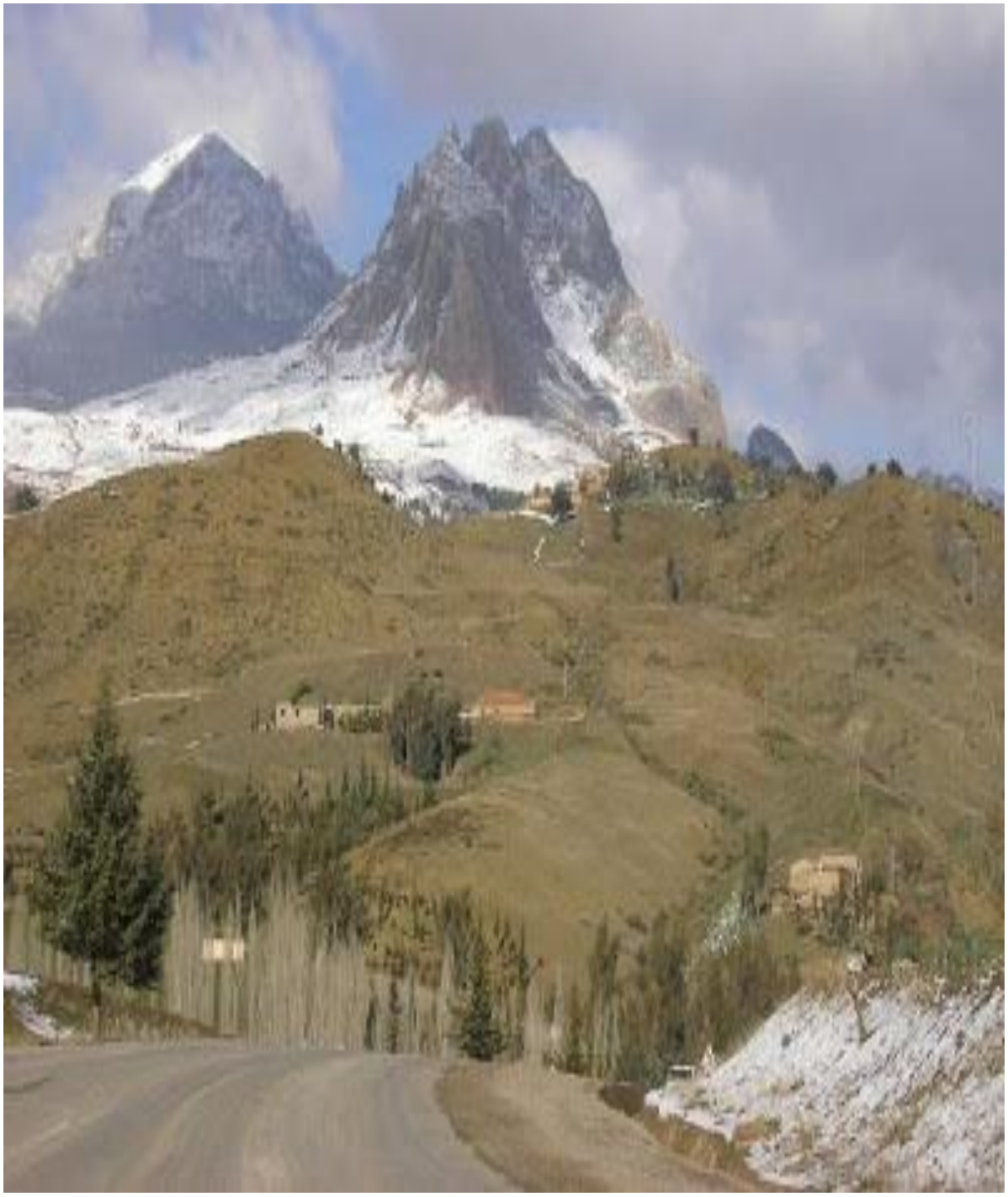

قمة سيدي عبد القادر بالونشريس

المرجع :www.ouarsenis.com

الملحق رقم 01 خريطة المغرب في القرن التاسع هجري والخامس عشر ميلادي

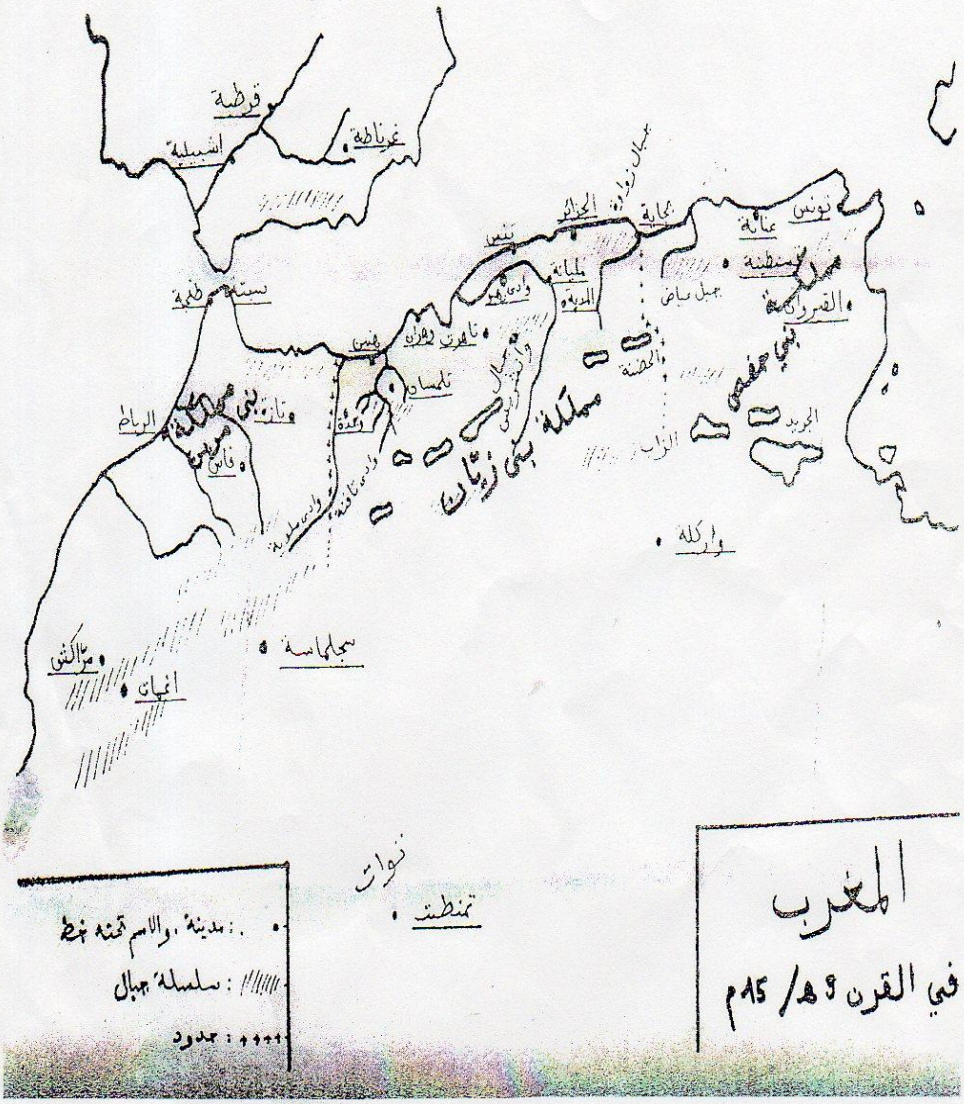

المصدر: عبد الله التنسي، المصدر السابق.

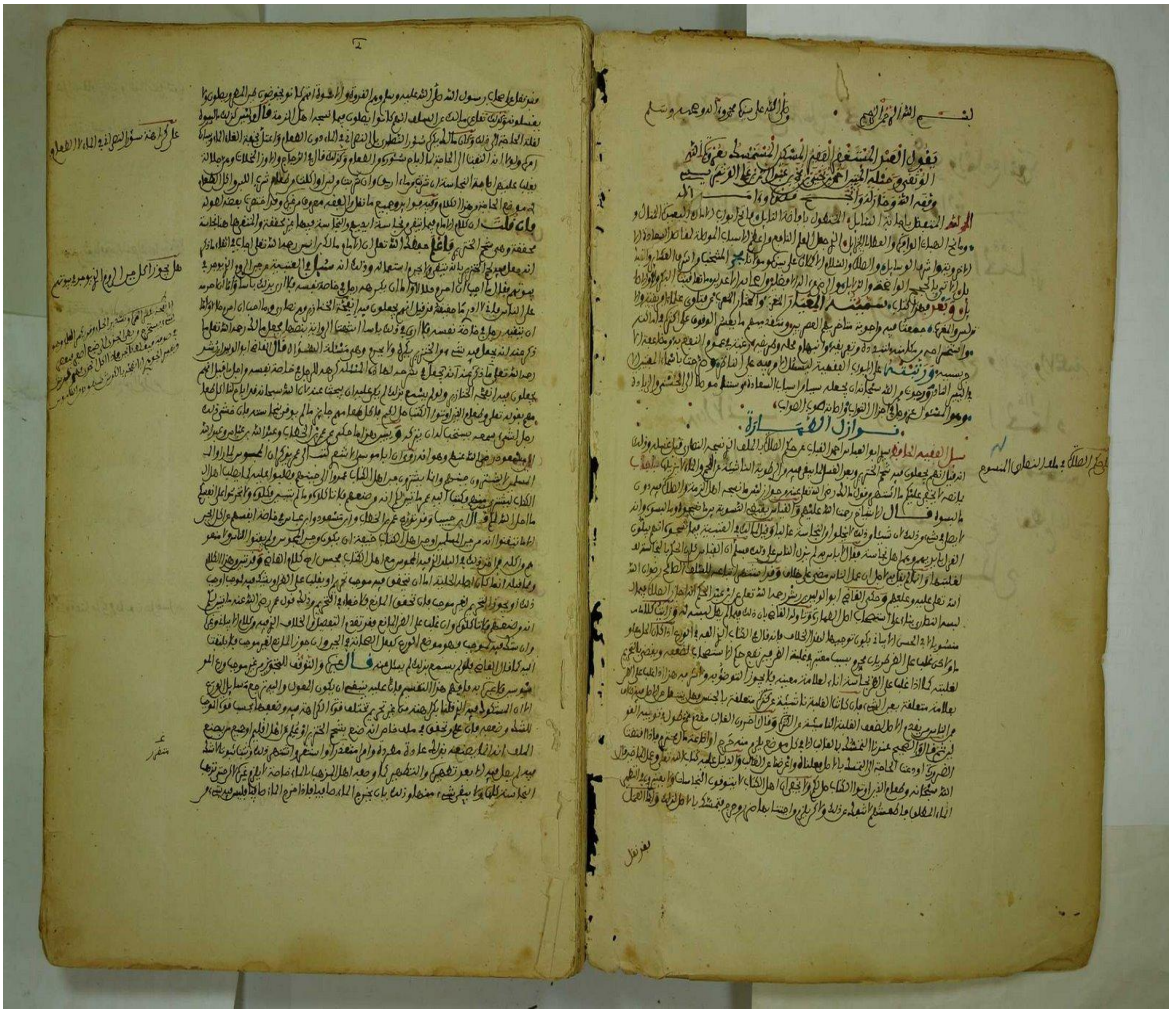

www.bottega-vaneta.net

البيبليوغرافيا

المصادر:

1- القرآن الكريم

2_ ابن أبي زرع الفاسي أبو الحسن (كان حيا سنة 726م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1974م

3_ ابن الأحمر الأمير الأندلسي الغرناطي أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر(807م) ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تقديم وتحقيق و تعليق : هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، ط1 ، 2001م

4_ الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمود بني الحسيني من عل ماء القرن السادس هجري) ، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق لاختراق الآفاق ، تحقيق : إسماعيل العربي ، دم ، الجزائر ، 1983م

5_ أبي راس الناصر المعسكري ، لقط العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان و انه من بني زيان ملوك تلمسان ، تحقيق : حمدادو بن عمر ، دار قرطبة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2011م

6_ البرزلي أبو القاسم البلوي القيرواني (ت 841هـ / 1437م) ، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين و الحكام ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 2002م

7_ البغدادي إسماعيل باشا ، هدية العارفين و أسماء المؤلفين و أثار المصنفين ، ج1 ، وكالة المعارف الجلية في مطبعتها البهية ، استانبول ، دط ، 1951م

8_ البكري عبيد الله بن عبد العزيز بن م مد (ت847هـ/ 1094م) ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية و المغرب ، و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دت

9_ التنبكتي أبو العباس احمد بابا (ت 1036هـ/1627م) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف و تقديم : عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ج1 ، منشورات كلية الدولة ، طرابلس ، ط1 ، 1989م

10_ التنبكتي ،كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، دراسة وتحقيق : محمد مطيع ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، دط ، 2000م

11_ الجزنائي علي ، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط2 ، 1991م

12_ الحفناوي أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم الغول ، تعريف الخلف برجال السلف ، بيرفونتانا الشرقية ، الجزائر ، دط ، 1906م

13_ الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط1 ، 1975م ، ط2 ، 1984م

14_ الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت 626هـ/1228م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977م

15_ ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/ 1406) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج7 ، تحقيق : خليل شحادة مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 2000م

16_ ابن خلدون يحي أبي زكريا يحي ابن أبي بكر محمد بن الحسن ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد ألواد ، مطبعة بييرفونتانا الشرقية ، الجزائر ، دط ، 1903م

17_ ابن خلكان أبو العباس أحمد ابن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، دط ، دت

18_ الزركشي ابن عبد الله محمد بن إبراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق و تعليق ، محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، دط ، دت

19_ الزركلي خير الدين ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط12 ، 2002م

20_ السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992م

21– السراج محمد بن محمد الأندلسي (ت 1149هـ / 1736م) ، الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية ، تحقيق : الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1985م

22_ الشفشاوي محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي ، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، تحقيق : محمد حجي ، مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط ، ط2 ، 1977م

23_ ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ألعكري الحنبلي الدمشقي (1032 / 1089هـ) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق و تعليق : عبد القادر الأرناءوط ومحمد الأرناءوط ، دار ابن الكثير ، دمشق ، دط ، 1988م

24_ ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي (ت 799هـ) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 1996م

25_ ابن القاضي أحمد المكناسي ، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، دط ، 1973م

26_ ــــــــــــــــــــ ، ألف سنة من الوفيات ، تحقيق : محمد حجي ، الرباط ، دط ،دت

27_ ابن قنفد القسنطيني أبي العباس أحمد بن الخطيب ، الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط4 ، 1983م

28_ الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني ، سلوة الأنفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس ، حققه و وضع فهرسته ، الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني ، دط ، دت

29_الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، فهرس الفهارس و الإثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات ، باعتناء :إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1982م

30_ الماوردي علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ / 1058م) ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، الجزائر ، دط ،1983م

31_ محمد حجي ، نظرات في النوازل الفقهية ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر ، المملكة المغربية ، ط1 ، 1995م

32_ محمد المدرع النجار الأندلسي ، أرجوزة في مشاهير صلحاء فاس ، تحقيق : خالد بن أحمد الصقلي ، كلية الآداب ، و العلوم الإنسانية ، فاس

33_ مخلوف محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، دط ، 1349هـ

34_ المقري شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، ضبطه و حققه و علق عليه ، مصطفى السقا و آخرون ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، دط ، 1942م

35_ ــــــــــــــــــــــــــــــــ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار صادر ، بيروت ، 1958م

36_ المنجور أحمد ، فهرسة أحمد المنجور ، تحقيق محمد حجي ، مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر ، الرباط ، دط ، 1976م

37_ ابن مريم أبي عبد الله محمد ابن أحمد ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، تحقيق : محمد أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، دط ، 1908م

38_ مؤلف مجهول ، زهرة البستان في دولة بني زيان ، تحقيق و تقديم ، بوزياني الدراجي ، مؤسسة بوزياني للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، دت

39_ مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، إشراف : سهيل زكار ، و عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديث ، ط1 ، الدار البيضاء ، 1979م

40_ المالكي أبو عبد الله بن محمد (ت 483هـ/ 1090م) ، رياض النفوس ، تحقيق : بشير البكوش و راجعه : محمد الروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1983م

31_ الناصري أحمد بن خالد السلاوي ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق و تعليق : جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، دط ، 1954م

42_ الوزان الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الأفريقي ، وصف إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي ، محمد الأنظر ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، 1977م

43_ الونشريسي أبي العباس بن يحي ، المعيار المعرب و الجامع الغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء ، بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1981م

44_ ــــــــــــــــــــــ ، الولايات ، تحقيق : يحي حمزة عبد القادر الوزنة ، عالم المعرفة لنشر و التوزيع ، الجزائر ، طبعة خاصة ، 2011م

45_ ، اسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر و ما يترتب عليه من العقوبات و الزواجر ، تحقيق : حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، مج5 ، عددان 1و2

46_ ــــــــــــــــــــــ ، وفيات الونشريسي ، تحقيق : محمد بن يوسف القاضي ، شركة نوابغ الفكر ، دط ، دت

47_ اليعقوبي ابن وضاح أحمد ابن أبي يعقوب ، البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، 196

المراجع :

1_ أبو مصطفى كمال السيد ، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، دط ، 1996م ، دار العالمية للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2011م

2_ بالعربي خالد ، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية ، **دار** العالمية للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2011م

3_ بن قربة صالح ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، دت

4_بوعزيز يحي ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1995م

5_ ــــــــ ، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، 2007م

6_ الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 2011م

7_ حساني مختار ، تاريخ الدولة الزيانية ، ج1 ، الأحوال السياسية ، منشورات الحضارة ، الجزائر ، دط ، 2007م

8_ سعيدوني نصر الدين ، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي ، تراجم مؤرخين و رحالة جغرافيين ، دار الغرب الإسلامي ، ط3 ، 2008

9_ سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998م

10_ سعد غراب ، كتب الفتاوى و قيمتها الاجتماعية ،" مثال نوازل البرزلي " ، مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية ، القاهرة ، دط ، 1975م

11_ شاوش محمد بن رمضان ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 1995م

12- عبد الله المرابط الترغي،فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للميلادي،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية تيطوان، ط1 ، 1999م

13_ طمار محمد ، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر ، تقديم : عبد الجليل مرتاضي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 2007م

14_ لخضر عبدلي ، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان ، دار الأوطان ، دط ، 2011م

15_ فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني ، ج1 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 2002م

16_ الميلي مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،ج2 ، تقديم وتصيح : محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، دت

17_ نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط2 ، 1980م

18_ زقور أحسن ، أبحاث في المخطوطات ، أبو العباس الونشريسي و مخطوطه المنهج الفائق في علم الوثائق ، منشورات دار الأديب ، الجزائر ، دط ، 2007م

المقالات:

1– إبراهيم حركات، الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 26، 1975

2–بالبشير عمر ، ورقات عن حياة و أثار صاحب المعيار ، مجلة عصور ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة وهران ، العددان 5/4 ، 5 ديسمبر 2003م ، جوان 2004م

3– البوعبدلي المهدي ، الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام احمد بن يحي الونشريسي ، مجلة الأصالة ، العددان 84/83 ، جويلية ، أوت ، 1980م

4– السعدي أحمد، النوازل الفقهية و العلوم الإنسانية، علم التاريخ مثلا، دورية كان التاريخية، العدد السادس، ديسمبر، 2009م

5– ألطالبي عمار ، الونشريسي ، مجلة الأصالة ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، عدد 83 / 84 ، جويلية ، أوت 1980م

6– قدوري الطاهر، السمك و التغذية في المغرب الوسيط، دورية كان التاريخية ، العدد العاشر ، ديسمبر ، 2010م

7– لامية زكري ، من أعلام تلمسان أبو العباس الونشريسي ، مجلة عصور الجديدة ، جامعة وهران ، الجزائر ، عدد 10 ، صيف جويلية ، 2014م

الرسائل الجامعية:

1–أبو زكريا المغيلي المازوني ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة ، دراسة وتحقيق : بركات إسماعيل ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ و الآثار ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010م

2– زهور اربوح ،أوضاع المرأة بالمغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي ، دراسة فقهية اجتماعية ، دار الأمان للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2013م

3– سعيداني لخضر ، الأقليات الدينية في المغرب الإسلامي من خلال النوازل الفقهية ، نوازل الونشريسي نموذجا ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة وهران ، 2013م.

4– – شرقي نوارة ، الحياة الاجتماعية في المغرب الإسلامي في عهد الموحدين ، رسالة ماجستير جامعة الجزائر ، قسم تاريخ ، 2008م

5– نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني دراسة سياسية و حضارية ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة الموصل ، 2004م

مواقع الكترونية:

1 – www.ouarsenis.com

2 – www.bottega-vaneta.net

فهرس المحتويات

مدخل الأوضاع السياسية للدولة الزيانية..... 6
الفصل الأول:التعريف بابي العباس الونشريسي
المبحث الأول:نسبه ومولده وحياته
1 نسبه..... 16
2 مولده..... 17
3 نشأته و أسرته..... 18
4 محنته ووفاته..... 19
5 ارتحاله إلى فاس..... 19
6 سكناه بمدينة فاس
7 مكانته العلمية..... 20
8 وفاته..... 22
المبحث الثاني:حياته العلمية
1 البيئة العلميّ و الثقافية..... 23
2 شيوخه..... 25
المبحث الثالث:آثاره
1 تلامذته..... 29
2 مؤلفاته..... 33
الفصل الثاني:كتاب العيار
المبحث الأول:العيار و قيمته العلمية..... 41
1 التعريف به..... 41
2 أهم ما جاء به..... 44
3 قيمة الكتاب العلمية..... 46
المبحث الثاني:تعريف النوازل 48
1 لغة..... 48

2 اصطلاحا..... 48
3 الألفاظ المتصلة..... 49
المبحث الثالث:بعض نوازل الونشريسي(النوازل الخاصة بالجانب الحضاري) 51
1 الحياة الاجتماعية..... 51
2 الحياة الاقتصادية..... 54
3 الحياة الدينية..... 56
خاتمة..... 60
الملاحق..... 62
قائمة المصادر و المراجع..... 69
فهرس المحتويات..... 77